وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور –خنشلة –

كلية: الآداب و اللغات

قسم : اللغة و الأدب العربي

شعبة: اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

عنوان المذكرة

سرد السجون في رواية

"تلك العتمة الباهرة" للطاهر بن جلول

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر 2

إعداد الطالبة **إشراف الاستاذة :**

- **بوغقال صباح** *** وردة كبابي**

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
قروي سميرة	أستاذة محاضر-أ-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	رئيسا
وردة كبابي	أستاذة- د- محاضر - ب-	جامعة عباس لغرور -خنشلة –	مشرفا ومقررا
طبيش حنينة	أستاذة محاضر - أ-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية2018-2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله سيدنا محمد عليه أفضل و أزكى التسليم،و على آله و صحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين ،أما بعد:

انطلاقا من قوله صلى الله عليه و سلم "من لا يشكر الناس لا يشكر الله " كان لزاما علي أن أدون شكري وتقديري لكل من أعانني على مواصلة مسيرتي التعليمية، وإتمام بحثي وإخراجه في صورته الأخيرة ولكل من ساهم في إخراج هذا البحث العلمي و أسأل الله أن يجازيهم حسن الثواب .

الفضل و الشكر لله أولا و أخيرا أن وفقني للإتمام هذا البحث ، ومن هذا المقام أتقدم بالشكر و التقدير لأستاذتي الفاضلة المشرفة: **وردة كبابي** التي أولتني برعايتها و اهتمامها و ارشاداتها القيمة للنهوض بهذا البحث ، فكنت أستشيرها في كل وقت و في كل حين ولا أجد منها إلا سعة الصدر و حسن القبول و الاستقبال، فجزاها الله عني كل خير .

. كما أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة كل من :

الأستاذة : قروي سميرة.

الأستاذة : طبيش حنينة.

و ذلك لقبولهما مناقشة بحثي و إثرائه بالملاحظات القيمة.

و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

مقدمة

مقدمة

تعد الرواية جنسا أدبيا يعبر عن روح المجتمع و أزماته و طموحاته و قد أخذت الصدارة غربيا وعربيا وذلك لقدرتها على مواكبة المتغيرات و الظروف المختلفة التي تواجه المجتمعات في مسيرة وجودها و بقائها كونها الشكل التعبيري الذي يستوعب التجربة الإنسانية بكل أبعادها (النفسية . الاجتماعية . السياسية . الاقتصادية) ، فجاز لنا أن نطلق عليها ديوان العرب في العصر الحديث و المعاصر لأنها ارتبطت بالواقع الاجتماعي وحاولت تصوير أدق تفاصيله وذلك عبر طرح مختلف المواضيع و القضايا التي تشغل المجتمع و تحرك طموحه لبناء رؤية مستقبلية أكثر وعيا بين الأنا و الآخر و كذا الذات و المجتمع و بين الكينونة وتحقيق الوجود .

و من المواضيع التي لقيت اهتماما من قبل الروائيين موضوع " السجن " لأنه طرح قصة الفئة المهمشة اجتماعيا و المغتربة إنسانيا إذ تعاني و تناضل و تقام من أجل نفي عذابات الذات و تعرية و فضح الأساليب القمعية للسلطة الحاكمة ، ومن هذا المنطلق تصدى الروائيون لظاهرة السجن كرفض لهذا الواقع القائم المؤلم لهذه الفئة ،مؤكدين أن الرواية هي النوع الأدبي الأصلح و الأقدر على استيعاب موضوع السجن نظرا لطبيعته و بنيته (أحداث . شخوص . زمان . مكان) ،كما أنها الأنسب لإنطاق المسكوت عنه في الخطاب الثقافي و الاجتماعي العام لأنها تمتاز بالواقعية التي تشدد على الحقيقة الإنسانية و تعبر من خلال صفحاتها عن معاناة الشعوب و اغترابها عن أوطانها عبر لغة واقعية عميقة باحثة عن حقيقة و كنه التجربة الإنسانية مصورة بذلك بشاعة السجن و معاناته و سيكولوجية المسجون و عذابه و طبيعة الجلاد و غطرسته و قمع السلطة لأصوات قد تهدد بقاءها .

وقد فرضت تجربة السجن نفسها على الأدب العربي عامة حيث جسد الروائيون أشكال التعذيب و أساليبه المختلفة التي تعرض لها المعتقلون حيث رصدت هذه الأعمال

الإبداعية لحظات ضعف و صمود و هواجس و أحلام و أفكار السجناء ، كما تصدى لهذا النوع من التجارب المريرة عدد كبير من الشعراء و الأدباء الذين ألقت بهم السلطة في غياهب السجون حيث أبرزت كتاباتهم الفنية موسوعة العذاب و القهر و الحرمان الذي ذاقه السجناء في زنزاناتهم كما أبدعوا من خلالتجربتهم السجنية روايات و قصائد تتسم بالقوة و الايحاء وتموج بتفاصيل حياتهم القاسية التي تؤطرها الرغبة الشديدة في نيل الحرية و التخلص من قيود الظلم و الاستبداد باعتبار أن السجن هو نقيض للحرية فأصبحت تمثل أحد القضايا المهمة التي تحرك القرائح الإبداعية و تدفعها إلى تقصي حقيقة ما يحدث في هذه الفضاءات المغلقة مكانيا المتوقفة زمانيا .

ومن أهم النماذج الروائية التي تطرقت لموضوع السجن و رصد كافة أصناف التعذيب التي تدور داخله : رواية "**الكرنك**" **لنجيب محفوظ . "شرف" لصنع الله ابراهيم . العسكري الأسود ليوسف ادريس . السرداب رقم (02) ليوسف الصائغ . الزنزانة لفتحي فضل . الوشم لعبد الرحمن الربيعي . الأشجارو اغتيال المرزوق لعبد الرحمن منيف . قالت ضحى و شرق النخيل لبهاء طاهر.**

و ضمن هذا السياق جاءت رواية " **تلك العتمة الباهرة** " للروائي المغربي الطاهر بن جلون و التي تجلت فيها كل مظاهر القمع و التسلط و القهر و انتهاك حقوق الأفراد في أبشع صوره و ضروبه ، وهذا ما نحاول أن نبينه لفهم الواقع السياسي و لإيضاح خصائص المأساة التي يعيشها السجين في مرحلة سجنه و نفيه و محاولته البحث عن التحرر و الهروب من قيود السلطة القامعة و هذا ما جعلنا نعنون بحثنا ب : **سرد السجون في رواية " تلك العتمة الباهرة "لطاهر بن جلون.**

يتمحور من خلاله بحثنا حول اشكالية رئيسية تنقسم إلى أسئلة فرعية هي : **ما المقصود بأدب السجون ؟ ماهي أهم المواضيع التي عالجها هذا النوع من الأدب ؟ كيف كان حضوره في الرواية العربية ؟ أو كيف عالجت الرواية العربية تجربة السجن ؟**

و سؤال مركزي يتمحور حول موضوع البحث هو:**كيف صاغ الروائي الطاهر بن جلون صورة البطل في روايته تلك العتمة الباهرة ؟ و كيف ساعد عنصر الزمان و المكان بوصفهما مجال اضطرابه و تحركه على توضيح رؤيته لعالمه الضيق (السجن) و عالمه الأوسع (الوطن) الذي غدا بفعل السلطة سجنا مفتوحا على كل ألوان القمع لكل الأصوات المعارضة لسياستها؟**

و للإجابة عن هذا الاشكال و تفصيلا للموضوع وضعت خطة تمثلت في الآتي :

مقدمة : كمفتاح للموضوع و دليل المتصفح للبحث .

الفصل الأول : معنون ب : دلالة السجن و حضوره في السرد العربي حددت من خلاله المفاهيم النظرية المتعلقة بالبحث .

الفصل الثاني :مثّل الدراسة التطبيقية عنونته ب :صورة البطل و بنيتي المكان و الزمان في رواية " تلك العتمة الباهرة " لطاهر بن جلون .

خاتمة :تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة .

أما عن سبب اختياري لهذا الموضوع ، هو نية الكشف عن الصياغة الفنية لصورة البطل و جماليتها في سرد السجون ، و بناءها ضمن إطاريّ الزمان و المكان ، بوصفه المجال الذي يتحرك عبره البطل متعايشا مع وضعه تارة ، رافضا إياه تارة أخرى ، فالفضاء المكان هو سجن منغلق يفوح برائحة الموت و القهر ،و الزمان يكاد يتوقف في لحظة العدم و اللاكينونة، فالسجناء أحياء أجسادا أموات أرواحا . هذا السبب بالنسبة لي . كان كافيا لأحاول معرفة خصوصية بناء البطل السجين و هل هو بطل فاعل يقوم بالفعل كغيره من الأبطال العاديين ؟ أم أن الفعل يطبق عليه بوصفه خاضعا لقمع الفاعل الأول السلطة و الفاعل الثاني أي السجان ؟

ما عددته سابقا كان كافيا لأخوض البحث في غمار هذا الموضوع و أحاول تتبع جماليته عبر اللغة السردية و كافة محتويات النص .

ولا شك أن بحثي كان محفوفا ببعض الصعوبات و العراقيل و التي لا يخلو أي بحث أكاديمي منها و قد تمثلت في :

1. قلة الدراسات حول أدب السجون عامة .

2. كما أن أدب السجون لم يحظى بالاهتمام الكافي من الدارسين و خاصة الأكاديميين .

و قد زاوجت بين منهجين منهج بنيوي و منهج موضوعاتي نظرا لطبيعة الموضوع المطروق التي فرضت عليا ذلك .

و لإثراء هذا البحث اعتمدت على جملة من المصادر و المراجع أعانتني في مسار بحثي:

. تلك العتمة الباهرة لطاهر بن جلون كمدونة مدروسة .

أما المراجع فتمثلت في :

1. سالم المعوش. شعر السجون في الأدب العربي الحديث و المعاصر .

2. شعبان يوسف . أدب السجون .

3. واضح الصمد . السجون و أثرها في الآداب العربية .

4. عباس محمود العقاد . عالم السدود و القيود .

و في الأخير أرفع شكري و تقديري للأستاذة المشرفة وردة كبابي التي زودتني بأهم المعلومات و المراجع التي تخدم بحثي .

كما أقدم شكري للجنة المناقشة وكل الشكر لجامعة عباس لغرور التي أتاحت لي فرصة الدراسة و البحث طوال خمس سنوات كللتها بهذة المذكرة لاستثمار مقاييس الماستر، كما أرفع شكري لكلية الآداب و اللغات .

و الحمد لله من قبل ومن بعد .

الفصل الأول:

دلالة السجن و حضوره في السرد العربي

1- مفهوم السجن

أ- لغة.

ب- اصطلاحا.

2-أنواع السجون

1.2 السجن المادي

أ.السجن الأجنبي

ب. السجن الوطني

2.2 السجن المعنوي

3. مفهوم أدب السجون

4. موضوعات أدب السجون

5أدب السجون في السرد العربي

تمهيد:

شغل موضوع السجن حيزا هاما في الأدب عموما إذ أسهم في كتابة مضامينه أدباء وشعراء عبروا عنه بإبداعات شعرية ونثرية كانت عبارة عن شهادة حية عما يعانيه السجناء داخل السجون.

فمفهوم السجن يفرز نوعا من اليأس والضياع والألم يحيلنا مباشرة إلى مدلولات متعددة تفقدنا الحرية والاستقرار، كما أن هذا المفهوم (السجن) لم يبقى أسير رؤية واحدة بل تطور ليشمل فضاءات مكانية متعددة جعلت من هذا المكان المغلق حيزا يشعر فيه السجين بالضيق والتوتر والتيه وتشظي الأفكار، فجدرانه تفرض نوعا من القهر والتعذيب والإذلال والخضوع إذ يتسرب لكل شيء يفقدنا الحرية فهذا الشعور مس عدد كبير من الأدباء والمبدعون مثلت أعمالهم تعبيرا صادقا عن انتفاضة النفس وألم سببه شرخ في التواصل بين الإنسان وعالمه الخارجي كما يصف الأدباء من خلال تجربتهم السجنية كل ألوان التعذيب والتنكيل والحرمان والإقصاء والمشاهد المؤلمة بغية خلق صورة معادلة للواقعوذلك عن طريق رصد كل ما يحيط بالسجن وتسليط الضوء على زواياوجوانب من حياة المسجونين وإنطاق المسكوت عنه، لذا لم يعد السجن فضاء يكبت الإبداع بل أصبح حيزا مفتوحا للكتابة كاسرا للصمت معبرا عن أزمة السجن والتي كان لها أثر فاضح على نفسية السجين والتي أثرت كثيرا على رؤيته وقناعته.

1/- مفهوم السجن:

أ- لغة:

إن دلالات مفهوم "السجن" في اللغة العربية موجودة منذ القدم، فقد وردت مفردات مثل: "**الحبس والحجز والأسر والسجن**" في كثير من دواوين الشعراء والأدباء العرب كما دخلت هذه المفردات إلى معاجم اللغة العربية واحتلت مكانتها واقعا مستمدا من الحياة نفسها".[1]

في معجم لسان العرب لابن منظور: جاءت مفردة السجن من المادة "**س-ج-ن**" إذ تعددت اشتقاقاتها وتنوعت دلالاتها.

منها: "السجن، بالكسر: المحبس، والسجن: الحبس، والسجن، بالفتح: المصدر سجنه، يسجنه سجنا أي حبسه."[2]

وفي معجم "العين للفراهيدي" نجد:

"سجن: السجن المحبس، والسجن، الحبس، والسجن البيت الذي يحبس فيه، السجيّن: من أسماء جهنم".[3]

يعتبر "السجن" بهذه المفاهيم، المكان الذي يدل على القهر والعبودية وكبت الحريات معبرا أكثر على الانغلاق والضيق يجمع بين القسوة والعذاب مجسدا بذلك كل معاني الإقصاء التي تجعل الإنسان مهمشا في مجتمعه.

---

[1] سالم المعوش. شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ،1424 هـ 2003 م ، ص :28.

[2] أبو الفضل جمال الدين مكرم ابن منظور. لسان العرب. دار صادر، بيروت ، مج7 ،ط4 ،2005 ،ص :131.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي. عبد الرحمن هنداوي. كتاب العين . دار الكتب العلمية، لبنان ، ج1 ،ط1 ،2007 م ،ص:218.

ونفس المعنى ينطبق على مفردة "الأسر": "القوة والحبس، ومنه حديث الدعاء: فأصبح طليق عفوك من إسار غضبك؛ و الإساربالكسر: مصدر أسرته أسرا وإسارة، وهو أيضا الحبل والقدّ الذي يشد به الأسير".[1]

تعبر كلمة "الأسر" أيضا عن الحبس وفقدان الحرية والإقصاء والتهميش، فالأسير أو السجين معرض للقيد والخضوع من طرف السجان أو السلطة.

فكلمات: "السجن، الحبس، الأسر تدل في معناها العام على القيد والخضوع، وفقدان الحرية بكل أشكالها وإعدام للقيمة والفعل".[2]

ومنه فالسجن يحمل دلالة خاصة تلغي حرية الإنسان وتطمس وجوده إذ يشعر بالنفي والانقطاع والخوف والوحدة.

إذا: "فالسجن في المعاجم العربية بمعنى الحبس وحجز الحرية والايقاف عن العمل لسبب من الأسباب، استعمله الشعراء العرب الجاهليون للدلالة على تلك الحالة. نتصفح دواوينهم فنقع على الكثير من الكلمات مثل: سجن وحبس وقيد وحجز وغيرها، وفي بائية الشاعر **عُدّي بن زيد العبادي** أول شاعر عربي في قافلة السجناء الذين ذكرهم التاريخ الأدبي"[3]وردت كلمة **مسجون في قوله:**

"أتاك بأنني قد طال حبسي * ولم تسأمْ بمسجون حريبُ[4]"**

[1] أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور. لسان العرب. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419هـ . 1999م ، ص:141.

[2] ابراهيم رماني. أوراق في النقد الأدبي. دار الشهاب، الجزائر، ط1، 1985 ، ص:166.

[3] أحمد الصافي النجفي. بقلم رئيف خوري. مقدمة ديوان "حصاد السجن". مكتبة المعارف، بيروت، دط ،دت، ص:14.

[4] المرجع نفسه،14.

لذا فكلمة السجن موجودة منذ القدم عبر بها الأفراد سواء كانوا شعراء أو غيرهم عن مآسيهم وفقدانهم لحرياتهم لذا وجدوا في الشعر المنبع الوحيد للتعبير عن تجربتهم داخل دهاليز العتمة والانقطاع عن الحياة العادية وضرورة الخضوع لقوانين السجن وسلطة السجان والحاكم.

وفي موضع آخر في شعره يقول:

"فإن أحبسْ فقد عرفوا بلائي * وإن أُطلق أجرعهم حُتوفا"** [1]

كما تدخل أيضا ضمن هذه المفاهيم التي أطرت لمفهوم السجن مفردة "المنفى" التي تحمل في طياتها دلالة نهب الحريات وسلبها، فالوجود في المنفى يعني الانقطاع عن الوجود الفعلي في الوطن كما يعني في الوقت نفسه تمددا داخليا لهذا الوجود ذاته"[2]

بذلك يمكن أن نحدد دلالات كل من "السجن" و "الأسر" و "المنفى" وغيرها فكلها مصطلحات تعبر بوجه أو بآخر عن الاغتراب والبعد سواء كان اغتراب وطني أي بعيد عن الوطن أو اغتراب داخل الوطن وهو ما نعني به "السجن "بحيث يشعر السجين بالتهميش والانغلاق والكبت الروحي.

يمكننا القول أن السجن في معناه العام: "يعني القيد والخضوع والذل، لكننا نرى أن المعنى النفسي له أبلغ مضمونا وأعمق افصاحا في بيان حقيقته، وما يدور حوله من مشاعر وأحاسيس، وما يعقبه من ضنك ويأس وخوف وضيق".[3]

فالسجن إذا يعني ذلك المكان الضيق الملىء بصور التعذيب والوحشية التي يتصف بها كفضاء يخلق في نفسية السجين مساحة تموج بألوان العذاب والوهن والقسوة.

---

[1] حسين نعيسة. شعراء وراء القضبان. دار الحقائق، بيروت، دمشق، دط ،1986 ،ص :07.

[2] اعتدال عثمان. إضاءة النص "قراءة في شعر أدونيس، محمود درويش، سعدي يوسف، عبد الوهاب البياتي، أمل دنقل وآخرون ،دار الحداثة، بيروت، ط1، 1988 ، ص:07.

[3] المرجع نفسه، ص10.

"كما نجد كلمة "السجن" في أمكنة أخرى من القرآن الكريم، لكنها لا تحمل الدلالة نفسها التي تحملها مفردة السجن وإنما هي بمعنى "الحجز" أو "الحبس" الأمر الذي نجده في استعمال "النبي صلى الله عليه وسلم"، ذلك أن الحبس في استعمال عصر النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يشير إلى سجن حقيقي وإنما للحجز فقط".[1]

يمكن القول أن مفردة السجن متعددة الاستعمالات حيث تختلف الدلالة من موضع إلى آخر، إذ نجد أن كلمة السجن في عصر النبي صلى الله وسلم تدل على الحجز فقط.أما حديثا فأصبح السجن يدل على كل معاني القهر والتعذيب والتنكيل بكل أصنافه المختلفة.

"فالشريعة الإسلامية عموما لم تكن تميل إلى كبت الحريات، وهذا لا يعني انعدام وجود السجون في الحياة العربية، بل على العكس من ذلك، فإنها كانت منتشرة في الأرجاء الإسلامية الواسعة بمفهومها الذي عرفته الأمم الأخرى".[2]

تجدر بنا الاشارة إلى القول أن السجون لم تقتصر على منطقة أو بلد دون آخر بل وجد كذلك عند العرب، فقد كانت قضية السجن محورية تدور حول غياب الحريات والظلم والاستبداد والايقاف إذ أن الدين الاسلامي عموما يرفض كل الأساليب التي تلحق الضرر بالإنسان وتمنع حريته.

ب- مفهوم السجن اصطلاحا:

تطالعنا كلمة السجن بجملة من الدلالات التي تنضوي تحت لواء معناها الأصلي، مثل: الكبت، الانغلاق، التضييق والإقصاء والتهميش، وفقدان الحرية والعقاب وقد يتخذ دلالة إيجابية إذ يعتبر "مدرسة للإصلاح والإنتاج الماديين وهو ما ذهب إليه العقاد في تعريفه

[1] فرونزروزنتال. مفهوم الحرية في الإسلام. تر. تح. معن زيادة. رضوان السيد. معهد الإنماء العربي، بيروت، دط، 1978 م، ص:43.

[2] سالم المعوش.شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر.ص:30.

للسجن بأنه مكان لاعتقال الأسرى المحكوم عليهم بالموت ثم أصبح مكانا للتخلص من بعض المغضوب عليهم أو الواقفين في طريق ذوي السلطان".[1]

يمثل السجن مؤسسة عقابية أو بالأحرى مؤسسة إصلاحية تسعى للتعديل من سلوكات الأفراد وتوجيههم توجيها سليما، كما أنه مكان يحتضن المغضوب عليهم أو الأشخاص الذين يقومون بأعمال لا تتوافق والقانون أو الرأي العام فتتم معاقبتهم وذلك عن طريق الحكم عليهم بالسجن.

يذهب **سالم المعوش** في كتابه: **شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر** إلى تعريف السجن أنه: "مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله وإنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه، وأن هذه المؤسسة حملت جوانب إيجابية وأسهمت بتوفير الأمن الاجتماعي للناس".[2]

يعني ذلك أن السجن هو تلك المدرسة التي تقيم حدود للأفراد، وذلك من أجل ردعهم وتأديبهم حيث تحيل السلطة هذه المؤسسات على ضرورة سن قوانين ضد الخارجين عن حكمها وقراراتها.

كما أن مفهوم السجن مرتبط ارتباطا وثيقا بالعقاب والإصلاح وفي هذا الموضع يقول سالم المعوش، أن: "مفهوم السجن يتراوح بين الانتقام والمعالجة، بين كونه دار إصلاح أو مكانا لتسديد حساب ظالم أو باغ متسلط...."[3]

---

[1] المرجع السابق،ص :34 ،35.

[2] المرجع نفسه، ص:38.

[3] المرجع نفسه، ص:33.

يرى**عباس محمود العقاد:** "أن عقاب المجرم واجب وحق ولو لم تكن له نتيجة غير جزاء العمل بمثله ومقابلة الأضرار بالأضرار.فإن العدل البديهي يأمر بأن من يؤلم يتألم حتى ولو لم يتمادى في الإيذاء والتعذيب".[1]

ومنه فإن خروج الأفراد عن القوانين التي نظمتها السلطة الحاكمة يعد سببا من أسباب السجن والحبس، وبذلك تصبح حرية هؤلاء الأفراد بيد السلطة يعاقب عليها القانون وهذا يفضي تعطيل عامل رئيسي في الحياة ألا وهو الحرية وكبت رغبات الإنسان.

"وقد دفع ظهور "علم العقاب" بعض المفكرين ليغيروا من العقوبة المانعة للحرية ويدعوا إلى الإقلاع عن ممارسة التعذيب الشديد داخل السجون واستبدالها بالوعظ والتهذيب"[2]، ويبرز أحد رواد هذا المجال: "**جان مابيون**"Jean Mabillon وذلك من خلال كتابه:(تأملات في السجون الرهبانية) رسم فيه خطوات متقدمة في معاملة المحكوم عليهم من حيث تنفيذ العقوبة، وذلك بتدريبهم على العمل والسماح لهم ما أمكن بالتنزه."[3]

هذه المفاهيم الحديثة للسجن تعطي للسجين نظرة تملأها الثقة والقدرة على تغيير السلوك والسير نحو الاستقامة و تنزيه النفس من الشرور والجرائم، حيث أكدت الدراسات على ضرورة تغيير قانون التعذيب والإخضاع والقهر في حق المساجين.

وفي موضع آخر نجد أن: "السجين أو الحبيس هو من تعتقله السلطة".[4]

---

[1] عباس محمود العقاد. عالم السدود والقيود. منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، دت، ص:109.

[2] سالم المعوش.شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر. ص: 33.

[3] كاظم الحطيط، أثر العلوم الاجتماعية والإنسانية في تطوير القانون الجنائي "علم العقاب"، مجلة العرفان، م78، ع1 و2، آذار نيسان، بيروت، 1994، ص:78، 79.

[4] أحمد مختار البزرة. الأسر والسجن في شعر العرب "تاريخ ودراسة". مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط1، 1405هـ1985م، ص:25.

أقر"**علم العقاب**" على ضرورة عدم إخضاع المساجين للعبودية والتعذيب والقهر، وذلك داخل السجن "فقد كان الغرض أو الهدف من العقوبة هو زجر الجاني وردع غيره، حتى لا يكرر اقترافه للجرائم، وحتى لا يقلده فيها غيره".[1]

فإنه– يمكننا القول أن الغرض أو الهدف من إخضاع المسجونين أو الخارجين عند قوانين السلطة أو المتمردين إلى عقوبة السجن تتمثل في ردع الجاني، وحتى يأخذ منه العبرة من هو خارج السجن وهذا من أجل محاربة كل ما يمكنه المساس بالمجتمع وسلامته،كما فرض علم العقاب عدم إلحاق الأذى أو تعذيب من هم داخل السجن.

يرى بعض الأدباء والمفكرين، أن السجن وضع أساسا للتعذيب والتنكيل والقهر في حق المساجين إدراكا من السلطة أنه الحل الوحيد لتهذيب وإصلاح سلوكات الخارجين عن قوانينها (السلطة) وفي هذا الصدد يقر**ميشال فوكو** "Michel Foucault": "إن السجن في ترتيباته الأكثر صراحة ووضوحا قد أُعد دائما نوعا من تدبير ألم جسدي".[2]

هذا يعني أن السجن حسب قول فوكو من المؤسسات التي يجري فيها التنكيل بالمساجين و اخضاعهم لعقوبات جسدية، تتسبب بالضرورة في أذى نفسي لهم وليست مؤسسة أو مركز يسعى إلى إصلاح وإعادة تأهيل المذنبين والمجرمين.قدمت مفاهيم كثيرة للسجن منها: "السجن بيت الأحزان، مقبرة الأحياء، ومجمع الهموم، فيه يُقيد الذهن، ويحبس الضمير، وتعلق نوافذ الآمال، وفي السجن ترخص الحياة، ويُعاف البقاء، يطوف موكب الموت.على القلب، ويسل الهلاك سيفه على الأعناق".[3]

---

[1] عبد الفتاح خضر.السجون مزاياها وعيوبها من وجهة النظر الاصلاحية .المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، السعودية، دط ،دت، ص:18.

[2] ميشال فوكو.المراقبة والمعاقبة (ولادة السجن). تر.علي مقلد. مركز الإنماء القومي، لبنان،ط1، 1990 ، ص:57.

[3] سليمان بن صالح الخراشي.المشاهير والسجون "مجموعة مقالات قديمة نشرت في مجلة الهلال قبل ثمانين عاما تقريبا". دار ابن الأثير، المملكة العربية السعودية، ط1 ،1424 هـ - 2003م، ص:05.

لذا فالسجن هو مكان للحزن جدرانه يعمها الأسى والتشاؤم تجتمع فيه هموم الإنسان، فيشعر بكبت في نفسه تدفن فيه الأحلام والآمال فيشعر السجين بخطوات توحي بانعدام الحياة فكل ما في السجن يرسم للمساجين كل أشكال اليأس والقنوط.

كما يذهب **سليمان بن صالح الخراشي**في قوله: "ليس في السجن إلا حيطان صامتة، وألواح جامدة، وأبواب موصدة، صمت رهيب تكاد تختنق منه النفس، وسكوت مطبق تشرف منه الروح على البرزخ...بيت الوحدة والوحشة والفراق والحسرة والأسف"[1]

يمثل السجن تلك المساحة الضيقة التي لا يسمح فيها للسجين بالحركة جدرانها تحمل كل معاني الأسى والحسرة، فالسجن يخفي وراء أبوابه المغلقة الموصدة والمحكمة آلام وأوجاع ترهق النفس وتتعب التفكير، يعمها صمت رهيب قاتل ينسج خيوطا تخنق النفس يحس فيها السجين بالحسرة والوحشة والحنين للأقارب والأحبة وللحرية المنعدمة والغائبة.

كما يواصل سليمان الخراشي في تمحيصه ووصفه للسجن وصفا دقيقا باعتباره بيتا للقهر والإخضاع والألم حيث يقول: "السجن جد صارم، فيه التجهم كله والعبوس أوله وآخره، والكدر جميعه، لا جديد في السجن إلا تعاقب السجانين، تظن في السجن أن الشمس لا تجري وأن القمر واقف وأن الريح ماتت وأن عقارب الساعة لا تتحرك".[2]

السجن هو كسر ونفي وإقصاء للحرية، فيه سكون وتجهم وإحساس بالألم والضياع يحس فيه السجين بالظلام الذي يعم المكان ولا يكاد يزول لتحل الشمس، وهي شمس الحرية والاستقلال، فتأتي الريح حاملة معها آمال وأحلام وتطلعات السجناء وتترك بقايا الأسى والظلام.

2/- أنواع السجون:

[1] المرجع السابق، ص:05.

[2] المرجع نفسه، ص:05، 06.

من المعروف عن السجن أنه يأخذ أشكالا مختلفة متنوعة، بحسب العقوبة التي قررتها السلطة في حق السجين.

إذ يتخذ السجن أصناف متفرعة: "من قصرمريح مرفه إلى ديماس قذر قاس، وهذا ما ينطبق على المسجونين، السياسيين وهو غير ذلك للسجناء العاديين".[1]

لذا يمكننا أن نقسم السجن إلى قسمين:

1- السجن المادي:

إذ يرتبط في أغلب الأحيان بالمسجونين السياسيين وهو على نوعين:

أ- السجن الأجنبي:

ونقصد بالسجن الأجنبي السجن الدخيل أو الغريب عن الوطن "وهو الذي يكون فيه الفاعل عدوا أجنبيا دخيلا على وطن ما أو أمة ما أثناء الحروب فيمارس الأسر في حق رجال المقاومة والتنكيل بهم حتى يخيف كل من أراد أن يقف في وجهها، إضافة إلى ابتزازأموال الوطن المعتدي".[2]

يعتبر السجن الأجنبي الفضاء الذي تكون فيه السلطة بيد المستعمر أو المضطهد الدخيل والغريب عن الوطن، فيقوم بدوره بأعمال غير شرعية في حق المواطنين وإخضاعهم لحكمه وأمره وذلك بالقصر، كما يقوم بتنكيل وتعذيب كل مقاوم أو مناضل يعمل ضدها، فهو سجن يؤطرلكل أنواع البشاعة والدناءة في حق السكان الأصليين.

ب- السجن الوطني:

[1] سالم المعوش.شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر.ص:32.

[2] يوسف العايب، المتعاليات النصية في أدب السجون والمعتقلات في الجزائر (1954م- 1962م)، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011م، 2012م، ص:75.

ونعني به السجن الداخلي أو المحلي الوطني أي الخاص ببلد معين و"هو السجن الذي تقيمه السلطة الوطنية في دولة ما كمؤسسة عقابية رسمية تهدف إلى فرض الانضباط والسلوك القويم وحماية الآخرين من خلال تأديب المجرمين والخارجين عن القانون، حتى يأتمن الناس شرهم"[1]

يمكننا القول أن السجن هو مؤسسة عقابية تهدف إلى إنزال العقوبة بالمسجونين وذلك بغرض التهذيب وفرض السلوك المنضبط من قبل السلطة، إذ اختلفت السجون، فمثلا نجد **السجون الأجنبية** أو السجون التي ينشئها المستعمر في حق المواطنين فيقوم باغتصاب حريتهم وحقوقهم ووطنهم وممتلكاتهم بالإضافة إلى تعريضهم للإذلال والخضوع والقهر إذ عدت سجونهم قوقعة مغلقة غرضها الوحيد هو التعذيب، أما السجون الوطنية فهي سجون تهدف إلى التأديب والإصلاح.

2- السجن المعنوي:

يختلف السجن المادي عن السجن المعنوي "وهو النوع الذي يقابل ما اصطلحنا على تسميته السجن المادي ويبرز ما ذهبنا إليه أن هناك قوى معنوية يمكنها أن تمارس فعل التسلط وآليات القهر على الإنسان مثلما تقدم على فعله السلطة الحاكمة".[2]

يمكن القول أن السجن المعنوي يعني السجن النفسي الداخلي الخاص بشعور السجين وإحساسه، إذ أن السجين يعاني غربة وسجنا روحيا وعاطفيا نتيجة لما تعرض له من تعذيب وقهر وتهميش.

3/- مفهوم أدب السجون:

[1] المرجع السابق، ص:75.

[2] المرجع نفسه، ص:80.

يعتبر السجن ذلك المكان المنغلق تصور جدرانه الأسى والحزن والغضب والشعور بالنقص، لكن هذا الظلم والقهر والتعذيب والتنكيل الذي يتعرض له السجين يعد حافزا ودافعا مهما لولادة وانبثاق نوعا من الأدب وهو أدب السجون لذا كان "الأدب أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف وأفكار وخواطر وهواجس الإنسان بأرقى الأساليب الكتابية التي تتنوع من النثر، إلى النثر المنظوم، إلى الشعر الموزون لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر".[1]

يمكننا القول أن أدب السجون هو الأدب الذي يحمل بين طياته أرقى المعاني والعواطف التي يمكن أن يكتبها أديب في غياهب السجن، إذ تختلف الكتابة بين الشعر والنثر حاملة معها تجارب حية. لكتاب عاشوا فترة السجن كسروا بذلك قيود الصمت والعجز.

كما يقر بعض الكتاب والأدباء أن أدب السجون هو "جزء لا يتجزء من الأدب العربي، والأدب الوطني، وأدب المقاومة، والأدب الفلسطيني، وأن الأديب الأسير يحمل صفات الأديب بالمعنى والمضمون."[2]

كما يعتبر الأدباء أيضا أن أدب السجون هو "الأدب الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات، ويستوفي الحد الأدنى من الشروط، وما يكتب عن السجون والأسرى خارج السجن من غير الأسرى أو من المحررين لا يُعد أدب سجون وممكن تسميته **أدب عن السجون**"[3].

استنادا إلى ما أقره الأدباء والمفكرون عن أدب السجون، هو ذلك الأدب الذي يحمل في طياته خواطر وهواجس وأحاسيس الأديب السجين مبلورامضامينه بمآسي عاشها في فترة

[1] رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين (1985م إلى 2015م)، رسالة دكتوراه في الدراسات السياسية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 2016، ص:186.

[2] المرجع نفسه، ص:187.

[3] المرجع السابق، ص:188، 189.

السجن، كما أن هذا الأدب محكوم بمعايير وشروط للكتابة،وهو جزء من أدب المقاومة والأدب الفلسطيني.

وصف **صادق أبو سليمان** "أدب السجون" "هو كل ما يصوغه الكاتب الأسير في السجون وهو يحيا في مكان بئيس لا يوفر لساكنه إلا أبسط المتطلبات التي تحفظ له حياته، والذي يخرج من محبسين: محبس السجن، ومحبس معاناة الأديب الذي ينسج التجربة الأدبية كلمات وجملا وصورا بديعة مفعمة بحيوية الانفعال، وصدق التجربة والمشاعر، والأديب الأسير الذي ينهل من مصدر المعاناة في سبيل الحرية".[1]

ويعرف الأسير المحرر **شعبان حسونة أدب السجون** بقوله: "هو ما يكتب في الأسر ويهتم بقضايا السجن، وهنا يتم استثناء الأدب العاطفي والبوليسي وغيره من الأنواع التي تكتب في الأسر".[2]

نستشف من ذلك أن أدب السجون هو الأدب النابع من التجربة الصادقة الحية وهو ثمرة عذاب أديب أو شاعر في غياهب وظلمات الأسر والقهر والمعاناة، يمثل السجن فيها تلك الحلقة المغلقة تصور جدرانها أقوى ألوان التعبير وأروع التأملات والأفكار إذ يسعى الكتّاب والشعراء وغيرهم إلى اختراق جدران هذه السجون وذلك عن طريق الإبداع والكتابة والرفض والتحدي.

ويقول أيضا: "وهو ما يكتب في الأسر، وهنا يتم استثناء ما كتب عن الأسر من غير الأسرى كرواية شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف وغيره"[3]

لذا فأدب السجون هو أدب خاص بالأسر والمعتقل يجسد كتابات داخل السجن بعيدا عن الحرية، يصور لنا الأديب من خلال ذلك ما عاشه، كما نستثني ما كتب عن السجن أو

---

[1] المرجع نفسه، ص:189.

[2] المرجع نفسه، ص:191.

[3] المرجع نفسه ، ص:191.

الأسر من غير الأسرى أي من لم يعش فترة في السجن بل استخدم خياله وإبداعه لوصف السجن فمن خلال هذا الوصف تولد إبداعات نثرية أو شعرية.

يعرفه الشاعر الأسير **فايز أبو شمالة:** "أدب السجون هو كل ماله علاقة بالوجدان والعاطفةالإنسانية والتعبير عن ذلكفنيا، وهذا يشمل القصة والرواية والشعر والخاطرة والأغنية والعمل المسرحي".[1]

كما عرف الأسير **وليد الهودلي** أدب السجون بقوله: "كل ما يكتبه الأسرى في داخل الأسر، أو ما يكتبه الأسرى من مذكرات بعد التحرر أو ما يكتب عنهم وعن السجون من غيرهم، وفي مجالات الرواية، والقصة والشعر، والمسرحية والخاطرة وألوان الأدب الأخرى".[2]

هذا يعني أن أدب السجون هو الأدب الذي يكتب في حالة الأسر والسجن، أي أن الكاتب أو الشاعر أو الأديب عاش محنة السجن فعبر عن هذه المحنة والأسى بأسلوب راق مستخدما في هذا المجال أصناف وفنون مختلفة منها: الرواية أو القصة أو الشعر أو المسرحية وغيرها من الفنون كوعاء يحتضن هذا النوع من الأدب ألا وهو أدب السجون.

ونجد كذلك **خضر محجز** يقول في تعريفه لأدب السجون:"أدب السجون هو كل إنتاج لغوي كتب في السجون، واتخذ الأسلوب الجميل وسيلة لإيصال محتوى ما، كالشعر والقصة والرواية والخاطرة الأدبية".[3]

لذا فأدب السجون يعني ذلك الأدب الذي يكتب في ظلمات السجنومعاناته يؤطر لنوع من الأدب يتخذ من الأسلوب الجميل والألفاظ النابعة من صدق العاطفة ووحي التجربة مضامينا لإنتاجاتهم وابداعاتهم الشعرية أو النثرية.

---

[1] المرجع السابق، ص:189.

[2] المرجع نفسه ، ص:189.

[3] المرجع نفسه، ص:189.

كما يجدر بنا التنويه إلى أن أدب السجون وليد التجربة الصادقة إذ وجد الشعراء والروائيين في السجن المكان الوحيد للتعبير عن خلجاتهم ومعالجة قضايا تخص الأمة والوطن آملين في إيجاد حلول لها، كما يمكن أن نقول أن أدب السجون"ليس حكرا على الفلسطينيين و العرب بل هناك آخرون مثل الشاعر التركي" **ناظم حكمت**"و الشاعر التشيلي **بابلونيرودا** والروائي **الروسي ديستويفسكي** في روايته "**منزل الأموات**" وآخرون".[1]

يقر أيضا "**جميل السلحوت**" أن "السجون موجودة والتعذيب موجود في كل الدول منذ القديم وحتى أيامنا هذه، ولن يتوقف إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا".[2]

أدب السجون هو ذلك الإنتاج الأدبي الذي جاء نتيجة تجربة واقعية حقيقية عاشها السجين، حيث خصص السجن كفضاء ومساحة لنقل حقائق عاشها السجناء في غياهب الأسر، كما أن ظهور هذا النوع من الأدب في الساحة الأدبية مرتبط أكثر بالمعتقلات ومراكز سجنية إذ أنها كانت سببا في ولادة هذا النوع من الأدب، الذي أفرزه جرح الاعتقال والظلم، والاستبداد خلف أسوار السجن صور فيها الأديب السجين مأساته بلغة بسيطة انعكست عليها أوجاعه وانكساراته.

4/- موضوعات أدب السجون:

تعتبر تجربة السجن لدى الأدباء والشعراء بمثابة حلقة ونقطة ينطلقون منها، وذلك لإنتاج ابداعاتهم وقد مثلت حالة الأسى والقهر والعذاب التي عاشها الأدباء بين جدران السجون بمثابة صورة انعكست على أعمالهم الأدبية فقدموا بذلك حقيقة ناطقة بواقع عايشوه.

[1] جميل السلحوت. أدب السجون. دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، ط1، 2012م، ص:10.

[2] المرجعنفسه، ص:10.

"تنوعت موضوعات أدب السجون فصارت تشكل فيما بينها نمطا فنيا خاصا، ويمكن تصنيفه على أنه ظاهرة اجتماعية، وذلك أن أغلب موضوعاته تناولت جوانب اجتماعية بالدرجة الأولى وتحدثت عن الذات والإنسان والمجتمع."[1]

"وقد صنفها **واضح الصمد** في كتابه **السجون وأثرها في الآداب العربية** إلى أربعة أصناف: **الجوانب الذاتية والمعتقلات والتعذيب والعلاقة بالسلطة والعلاقة بالأهل**".[2]

يعني هذا أن موضوعات أدب السجون موضوعات فنية خاصة يحاول الأديب فيها أن يعالج قضايا تخص كيانه ومكنوناته، كما أنه ركز على المجتمع وظروفه وبذلك اتخذت موضوعاته جوانب عدة منها ذاتية وهي كل ما يتعلق بذات السجين ونفسيته وعاطفته وأيضا وصف المعتقلات وحالة التعذيب وغيره.

يمكننا أن نعرج الحديث أولا عن:

أ- الجوانب الذاتية:

وتعتبر الجوانب الذاتية من أكثر الموضوعات التي تصاحب السجن وترافقه إذ تخترق نفس السجين وهو في غياهب السجن وبين أربعة جدران يخيم عليها الصمت والظلام والوحدة، وآلامها تجعله يلتفت إلى أعماق نفسه ويتأمل فيها.

وفي ذلك "تفيض هذه النفس عبر مقارنات عديدة بين عالم السجن، والعالم الخارجيّ؛ بين الخواطر التي تحتاجه و هو يعيش في نعيم الحرية والانطلاق، وبين الأسر الشديد الضاغط على النفس والجسد في آن واحد".[1]

---

[1] سلمان أبو سليم جاد الله،أدب المواجهة منابع أدب الحركة الأسيرة الوطنية، إصدار جمعية الأسرى والمحررين، مخطوطة/ نفحة1991،حسام غزة، فلسطين، 2000/04/17، ص:24.

[2] واضح الصمد. السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ، 1415هـ . 1995م، ص:203.

ومن هنا فالسجن يمثل حالة من القهر والعذاب للأديب أو الشاعر فبصدق مشاعره وعاطفته ودقته في التعبير عما يختلج صدره يستطيع أن ينقل للقارئ مأساته وذلك عن طريق الكتابة فتكون الكتابة مماثلة لما عاشه الكاتب.

لقد تعرض الأدباء والشعراء لمحنة السجن إذ "أن هناك مفارقة كبيرة بين العالم الخارجي والحبس، ووصفوا أثره الهادم في النفس، وما يعتري السجين أول دخوله من انقباض ورهبة، ثم يتدرج في الاعتياد على تلك البيئة الجديدة."[2]

لقد تعالت" صرخات الضجر والانهيار والقهر والملل نظرا للواقع المرير الذي كانوا يعيشون فيه، ولم تكن تلك الصرخات إلا انعكاسا للأوضاع النفسية التي كانوا يعانونها."[3]

يمثل السجن حالة من الرهبة والخوف، وهذه الحالة شكلت عائقا وحاجزا في نفسية السجين سواء كان أديبا أو شاعرا، عبر في هذا الصدد عن تجربته المريرة داخل السجن وما عاناه من قسوة وعذاب خلفت بذلك آثار في نفسيته.

لقد عبر أدباء وشعراء السجون عن تجربتهم وهمومهم وآلامهم في الأيام القاسية وخاصة في ظلام السجن، "فالسكينة تسمح للذات الداخلية بأن تستيقظ و لكوامن المشاعر أن تبرز فيبيت السجين تحت هجمتين من عذاب الجسد، وأحزان القلب معا، ويقضي ليله في هذا اللبوس النفسي".[4]

لقد تنوعت أشكال المآسي داخل السجن الذي مثل هاجسا مس جميع الطبقات الاجتماعية وذلك على اختلافها، كما تشبعت واختلفت أنواع المعاملة مع قضية السجن؛ فتلك النفس المعذبة التي حصدت من الهوان والإذلال والتعذيب ما حصدته باتت تتردد بين

---

[1] سالم المعوش .شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر. ص: 99.

[2] واضح الصمد .السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي. ص:204.

[3] المرجع نفسه، ص:204.

[4] المرجعنفسه، ص:209.

الأمل والصبر والجزع واليأس فلا يجد السجين السبيل في ذلك إلا عن طريق الكتابة مجسدا في ذلك أصدق الصور التي عاشها.

وفي هذا "الشيء مهما كان من أمر الشجون التي كانت تزعزع نفس السجين وتستدر دموعه، وإلى جانب ذلك كان هناك من يتحمل ويصبر، وهناك من يرجع إلى الله ويتوب."[1]

يمكننا القول أن الصمود والثبات هو الركيزة والدعامة الأساسية في السجون، فرغم وحشية السجن وعنفوان السجان في حق المساجين الذين باتت حريتهم مسلوبة، فهذا السجين ما يلبث أن يصله ليل الحنين إلى أقصى مراحل الضعف والهشاشة، فتفجر في نفسيته الشعور بالانتهاء والموت وتمتلىء زنزاناتهم حسرة وألما فيعبر بذلك السجين عن قهره وهمومه الدائمة محاولا في ذلك الصبر وتجاوز المحنة، إذ أننا نجد عدد كبير من الشعراء والأدباء الذين كتبوا عن صمودهم في السجن وفي وجه السجان ونجد من تعرض لانهيار نفسي وهؤلاء من يعوزهم الصمود والتكيف والصبر على عصا الجلاد.

وهناك جوانب أخرى ذاتية يجدر بنا مناقشتها وهي الجوانب العاطفية حيث أنها من ضمن الموضوعات التي تناولها الأدباء المساجين في كتاباتهم الابداعية.

ب/-الجوانب العاطفية:

ويندرج تحت الجوانب العاطفية موضوعات **الأمل واليأس والحنين والأشواق** حيث مثلت هذه الموضوعات الركيزة الأساسية والرئيسة في ابداعات المساجين.

"ينقطع السجين عن العالم الخارجي، وينطوي على أحزانه، فتتوالد عنده الهموم والآلام والحنين والأشواق وتترجح نفسه بين الأمل والرجاء وبين القنوط واليأس معبرا عما في نفسه من جوانب عاطفية".[1]

[1] المرجع نفسه، ص:211.

يمثل السجن قوقعة مغلقة تقصي السجين وتبعده عن عالمه الخارجي فينغلق بدوره بين جدران تتوالد وتتزايد فيها أحزانه وأشواقه وآماله وتطلعاته، فيجد نفسه تارة بين قنوط ويأس وضعف وتارة أخرى بين أمل وتفاؤل

1- بين الأمل واليأس:

يتعرض الأدباء المساجين إلى موجات عاطفية ونفسية تجعلهم بذلك يعيشون أجواء مشحونة "بالرجاء والأمل ثم لا يلبث أن يتعرض إلى ومضات قاتمة تجعله يعيش في جو من السأم واليأس، لذلك نجده يخرج من يأس إلى أمل".[2]

يمكننا أن نقول أن الأديب السجين يمتلك طريقة خاصة في سرد أحداث عاشها في ظلمات السجن وبين أيدي سجان، فتتراوح عاطفته بين اليأس تارة نتيجة للقهر والخضوع والتعذيب وبين الأمل تارة أخرى ممثلا ذلك برسم أحلام عنوانها الحرية.

2- الحنين والأشواق:

يتعرض السجين لصدمات وانفعالات نفسية داخلية نتيجة لحنينه وشوقه وشعوره بغربة تفصله عن أهله وعن عالمه الخارجي وعن محيطه العادي فيجد نفسه مكبل الأيدي.

"يقبع السجين في زاوية من الحبس، يقلب الأغلال و الكبول التي تثقل كاهله، يقضي ليله أرقا ساهدا، لا وليف ولا أنيس، فتتدافع فيه الانفعالات النفسية والعاطفية، ويخترق خياله جدران السجن السميكة، وأبوابه الموصدة إلى مراتع صباه، إلى الأهل والأحبة، إلى ذلك العالم الغني بالذكريات، القادر على إثارة العواطف المستكنة".[3]

---

[1] واضح الصمد. السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي. ص:214.

[2] المرجع نفسه، ص:214.

[3] المرجع السابق.ص:215.

إن التجارب النفسية وجل ما يتعرض له السجين جراء محنة السجن وغربة الأهل والأحبة وغربة السجين وفقدانه لحريته هذا ساهم في تدفق انفعالات ماثلة في تعابير متوهجة بالألم فكتب الأدباء والشعراء السجناء معبرين عن هذا الشوق، وذلك بدافع المكبوتات القاهرة نصوصا عارمة بكل معاني الحنين إلى الخلان والأحبة.

3- المعتقلات والتعذيب:

نجد المعتقلات أو التعذيب من أهم موضوعات أدب السجون لأن السجن يمثل مؤسسة لكل أشكال التعذيب والتنكيل ونكاد نلمح في ثنايا العمل الأدبي كل الإشارات التي تدل على أحوال السجون ووصفها.

كما أن الدراسات لم تغفل دور السجان الذي يعتبر محور أساسي وهو "عمود السجن وهو ممثل السلطة في السجن، وعلاقته مباشرة بالسجين ويبدو أنه كان له هيمنة مرعبة على المحبوس".[1]

فالسجان يمثل السلطة والهيمنة داخل السجن منه تصدر الأوامر والقرارات ويعتبر "الجلاد" لما يقوم به بأفعال وحشية في حق المساجين، فعندما نتحدث عن المعتقل والسجن كبنية مغلقة فهو المكان الذي تطفو فيه مختلف أشكال القهر والعذاب والإقصاء والنفي والاعتداء هو مكان لا سلطة فيه للسجين على السجان يرغم فيه السجين على الخضوع والصمت.كما لا يمكننا أن نقصي السجان الذي يمثل صورة المعذب أو الجلاد كما سبق الذكر.

أما "**التعذيب**" فهو عنصر أساسي ومحوري في السجن وهو موضوع اهتم به أدب السجون باعتباره حلقة تصل السجين بالسجن فلا وجود للسجن دون عذاب، فالسجان يعتبر

[1] المرجع نفسه، ص:222.

التعذيب أمر ضروري من أجل الإصلاح والاستقامة وذلك عن طريق إنزال أقصى العقوبات وإخضاع المساجين لتعذيب جسدي يلحق به تعذيب نفسي وحرمانه من أبسط احتياجاته الخاصة فنجد السجان بذلك ينتهك حريتهم ويخضعهم للإذلال، وذلك بتحطيم الروح المعنوية، وفي هذا يجد السجين في الكتابة والتعبير المفر الوحيد و المتنفس الأكبر الذي يتيح له التعبير عن خلجاته وتجاربه القاسية.

4- العلاقة بالسلطة والعلاقة بالأهل:

تعتبر الصلة أو العلاقة التي تربط السجين بالسلطة عنصر مهم في أدب السجون فكل مبدع له موقعه الخاص من السلطة التي ألقت به بين جدران السجن "وتتضافر في بناء هذا الموقف عدة مؤثرات ينتج عنها اعتذار للسلطان والتماس العفو وإما استغاثة تحت تأثير الهلع والخوف وإما العقاب والدفاع عن قضيته والمطالبة بالحرية".[1]

نجد السجين في هذا السياق إما يطلب العفو من السلطان أو يعتذر له وإما يستخدم في إبداعاته العتاب والدفاع عن حريته المسلوبة، كما لا نستطيع أن نغفل علاقة السجين أو الأسير بالأهل والأقارب، إذ نلحظ في جل كتابات الأدباء النثرية والشعرية ذلك الحنين للأقارب والأهل والأبناء والأصدقاء.

وبذلك "فالإنسان السجين، مهما كانت مقوماته النفسية وإمكانياته الرجولية، يتخاذل ويضعف في غياهب السجن ويصبح همه الخروج من السجن وبأية وسيلة كانت."[2]

يمثل السجن بالنسبة للأسير أو السجين تلك العتمة التي لا تزول، فالسجين يشعر في هذا المكان المغلق بالاختناق والضيق مهما اتسعت مسافاته ورغبته الوحيدة تمثلت في نيل الحرية.

---

[1] المرجع السابق. ص:227.

[2] المرجعالسابق، ص:245.

5/- أدب السجون في السرد العربي:

أدب السجون هو الأدب الذي عبر عن مأساة أدباء وشعراء وراء القضبان وتحت سلطة السجان، أدباء عانوا من فقدان الحرية، فتفجرت قرائحهم بنتاج أدبي يصف تلك القوقعة المظلمة معبرا عن أهم القضايا والمشاكل التي عانى منها السجناء فكان نتاجهممختلفا عن نتاج أدباء خارج السجن، حيث أن كتاباتهم يغلب عليها الحزن، والأسى واليأس معبرين أكثر عن آلامهم وحلمهم بالحرية والخلاص.

"أدب السجون لم يكتب في الصالونات المكيفة أو في الحياة المرهفة والبساتين التي تصدح في سمائها الطيور المغردة، بل كتب في أجواء من الألم والأمل، وفي ظل المعاناة والصبر والتأمل داخل محرقة العدو بين الجدران ومن القضبان."[1]

يمكن أن نستشف أن ما ينتج بين القضبان وبين جدران السجون هو أدب تغطيه الآلام والمعاناة والقسوة، بين سجن يقصي حرية السجين وبين سجان مبدأه الأساسي هو التعذيب فهذا النوع من الأدب لم ينتج في صالونات وحياة مرهفة بل نتج في ظلمات السجن حيث مثلت الكتابة نورا بالنسبة للكاتب محاولا من خلالها الهروب من واقعه إلى واقع أفضل.

"وثمة فرق بين من يكتبون في الصالونات ومن يكتبون في المعتقلات ففي الحالة الأولى يأتي أدبهم عاديا، أما في الحالة الثانية، فيضيء أدبهم بإشراقات جمالية، تضفي حياة روحية متوقدة حيث أن المعاناة والألم مصدرا أو حاضنة دافئة للعطاء والإبداع المشع عن

[1] محمد عوض. نسمات من خلف القضبان.الكلمة للنشر والتوزيع، غزة، فلسطين، دط، 2015، ص:08.

طريق الحق والخير والجمال حيث تتفجر الطاقات الإبداعية من خلال ممارسات القمع اليومية للسجان في أقبية السجون التي شكلت تربة خصبة لتفتح هذا الإبداع".[1]

ونحن بصدد حديثنا عن السجن وأدب السجون يمكننا أن نعرج الحديث عن أدب السجون الفلسطيني باعتبار فلسطين من أكبر البلدان العربية المعرضة لهذه الظاهرة وذلك على أيدي العدو الصهيوني.

"فأدب السجون فرض نفسه كظاهرة أدبية في الأدب الفلسطيني الحديث، وبرز قبل احتلال الخامس من "حزيران يونيو 1967"، فالشعراء الفلسطينيون الكبار منهم **محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد** أثرو الساحة الأدبية بهذا الأدب المقاوم".[2]

وتتمثل أبرز سمات أدب السجون في "التمسك بالأرض، والتغني بالحرية وحب الوطن من قصائدهم "الثوار ينشدون" لراشد حسين– "أنا عبد" لفوزي الأسمر..."[3]

ويحتل أدب السجون مكانة مميزة في الأدب الفلسطيني باعتبار ما تعرضت له فلسطين من معاناة جراء الاحتلال الصهيوني، حيث حاول شعراء فلسطين التعبير عن همومهم ووطنهم في غياهب الأسر الاسرائيلي فأبدعوا قصائد وكتبوا روايات وقصص تصور جراح الفلسطينيون و غربتهم داخل وطنهم.

لقد كان ظهور أدب السجون نتيجة دواعي ساعدت المبدعين داخل الأسر والسجن على كتابة ما يخالج شعورهم معبرين في ذلك عن مآسيهم وغربتهم وحريتهم المسلوبة "فكان دخول الكتب الأدبية للسجون في عام 1972 وتوافرها في نهاية السبعينيات والتي مثلت

[1] أحمد الريماوي، الأسرى الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، غزة ، فلسطين ،2013، ص:20.

[2] جميل السلحوت.أدب السجون.ص:09.

[3] أحمد الريماوي، الأسرى الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية، ص:08.

العصر الذهبي للأسرى على الصعيد الثقافي بشكل عام، والطفرة الأدبية الاعتقالية بالشكل الخاص".[1]

مثلت هذه الفترة قفزة نوعية بالنسبة للكتاب والمبدعين داخل السجون وذلك عن طريق نقل تجاربهم داخل السجن فمدوناتهم مشحونة بالأسى والقهر والظلم والعذاب.

"ففي هذه المرحلة ازدهرت القراءات الأدبية لتشمل طيفاواسعا من الأدباء على مستوى العالم، ابتداءً من **غسان كنفاني** في مجال الرواية، مرورا **بنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وطه حسين والطيب صالح**، انتقالا إلى **تولستوي وديستويفسكي وتور جنيف** وكتّاب آخرون من قوميات وتجارب وأجناس مختلفة في مجال الرواية والقصة والشعر والمسرح والتي شكلت جامعا ممتعا ومصدرا غزيرا للمعارف والاستماع".[2]

شملت هذه المرحلة كتابات إبداعية لأدباء منهم: غسان كنفاني ونجيب محفوظ وغيرهم تعددت كتاباتهم بين الشعر والمسرح والرواية والقصة مثلت لجماهير المتلقين مصادر المتعة واستقاء المعرفة.

"كما كان للمجلات و النشرات والصحف التي كان يصدرها المعتقلون، واهتمامهم بنشر النصوص الأدبية والقصائد الشعرية في مجلات أدبية خاصة **كصدى نفحة والعمودالأدبي**".[3] دور في نقل و نشر أعمال السجناء و إبداعاتهم الأدبية إلى الفضاء الخارجي أي خارج السجن وذلك لكي يتم التعرف على نوع جديد من الكتابة وهي الكتابة السجنية إذ عملوا جاهدا "على نشر أعمال بعض المعتقلين خارج أسوار السجن بعد تهريبها بطرق مختلفة".[4]

---

[1] رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في فترة ما بين 1985 إلى 2015م ، ص:43.

[2] المرجع نفسه، ص:43.

[3] المرجع السابق، ص:192.

[4] سلمان أبو سليم جاد الله ، أدب المواجهة منابع أدب الحركة الأسيرة الوطنية، ص:113.

يمكن أن نستشف أن السجن لم يمثل حاجز وعائق في وجه المبدعين المعتقلين ولم يكن بالنسبة لهم قيد لم يستطع أن يكمم أفواههم ورغم معاناة السجن وتعذيب الجلاد، إلا أن أقلام المبدعين لم تجف بل ظلت تصارع وتقاوم ضد السلطة وضد العنف والعدوانية والقهر فكتاباتهم تحملهم نحو أفق واسع وممتد بلا نهايات وتحلق بروحه نحو فضاءات رحبة وخيالات لا محدودة أملها الوحيد هو الحرية والتي تمثل تحديا لمشروع السجان الذي يسعى إلى تحطيم آماله وحصره في زنزانة تقصي تطلعاته.

تميزت أعمال الأسرى المبدعين داخل السجون، إذ مثلت صفعة في وجه السلطة وفي وجه كل من حاول إذابة إبداعهم رغبة منهم بقتل روح التعبير لديهم، فكانت كلماتهم موحية معبرة استخدموا جل الكتابات سواء شعرا أو نثرا فقد كان التعبير بالشعر البدايات الأولى في إبداع الأسرى، فهو أسرع الأنواع الأدبية استجابة للتعبير عن المعاناة، لهذا لجأ عشرات من الأسرى إلى المحاولات الشعرية التي تترجم مشاعرهم وتعبر عن مكنونهم النفسي".[1]

وقد جاء شعرهم أيضا "موجزا تعرض فيه المعاني المتدفقة في ألفاظ قليلة، مع الإبانة والإفصاح عنها، ويتسم شعر الأسرى بالسهولة والبساطة".[2]

لقد تميزت الأعمال الشعرية للأسرى الفلسطينيين والمعرضين لسجن الاحتلال بالشمولية، كما تداخل فيها زخم هائل من تجارب الشعوب وتعبيرهم عن مأساة الشعب الفلسطيني، إذ تبلورت أفكارهم وحركات التحرر التي يدعون إليها في شكل قصائد احتضنت تلك المأساة مصورين في ذلك بشاعة العدو الصهيوني مستخدمين أسلوبا سهلا وبسيطا فهو شعر مغلف بأحلام شفافة عباراته تخاطب العقل والقلب ترتاح له النفس.

---

[1] مفيد عرقوب، حسين الدراويش، صورة السجين والسجن والسجان في الشعر الوطني الفلسطيني الأسير، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، غزة ، فلسطين ،2013، ص:02.

[2] نائل اسماعيل، الأساليب الإنشائية في شعر الأسرى الفلسطينيين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، غزة ، فلسطين ،2013، ص:01.

ولعل من أهم الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور هذا النوع من الأدب أيضا "الحرب النفسية التي يتعرض لها السجين على الصعيد الداخلي والخارجي، تلك الحرب التي تشن ضده من سجانه الذي يسعى بكل الطرق إلى دفعه للشعور بالدونية وتبخيس الذات والإحباط والبأس الشديد".[1]

فالحرب النفسية تعني شعور السجين بالقهر والاقصاء فهذه الحرب يرأسها سجان يسعى بكل الطرق إلى تعذيب المساجين والتنكيل بهم.

"تلك الطاقة الكبيرة من المشاعر وجدت في الكتابة الطريق الوحيد المتاح أمامها لتظهر وتنفجر، فهي وسيلة السجين الوحيد ليبصق كم الأسى والحقد، والمرارة الذي تجرعه نتيجة تراكم السنوات والعذابات، فتفجر ذلك الإحساس الوجداني وتحررت تلك الطاقة الكامنة استجابة للوضع القائم وترجمت على هيئة شعر أو نثر".[2]

تعتبر الكلمة السلاح الوحيد الذي يمكن للسجين أن يرفعه في وجه السجان وفي وجه السلطة، فالكتابة صارت تمثل متنفس السجين، فيه يعبر عما يجول في خاطره محاولا في ذلك نسيان الوضع الذي آل إليه معبرا أكثر عن مرارة الحياة وقسوتها هناك، فأخذ يغترف من قضايا مجتمعه وقضايا تخصه كعناوين لكتاباته.

وفي هذا الصدد ظهرت "قواميس لغوية خاصة بالسجن وقضاياه، وتشكلت ألفاظ ودلالات جديدة شديدة الخصوصية، مثيرة للانفعال بسبب تعبيرها عن مضامين إنسانية وثورية ونفسية".[3]

---

[1] سلمان أبو سليم جاد الله، أدب المواجهة منابع أدب الحركة الأسيرة الوطنية، ص:04.

[2] المرجع نفسه، ص:04.

[3] المرجع السابق، ص:04.

يمكننا القول أن الكتابة داخل السجن هي كتابة ضد القيد وضد الخضوع لليأس والقهر، هي كتابة جاءت كردة فعل وتعويضا لكثير من الحاجات المفقودة، فقد استعمل الأدباء داخل السجون ألفاظا خاصة بالسجن لصيقة بقضايا الوطن والغربة والحرية وغيرها.

كما ظهرت من قبل ابداعات وكتابات لأدباء داخل السجون منها "قصائد الحطيئة وروميات أبي فراس الحمداني، وحديث حصاد السجن لأحمد الصافي وغيرها".[1]

يتميز أدب السجون بحيوية الانفعال وصدق التجارب، كونه ينهل من مصدر المعاناة النابع من ثوار هانت عليهم أنفسهم فهبوا يحملونها على أكفهم ليقدموها أضاحي في سبيل تحذير كرامة الوطن وأهله".[2]

أدب السجون هو أدب متميز، تختلف كتاباته عن كتابات أخرى خارج أسوار العتمة، فالأدب الذي يكتب داخل زنزانة أو قبر كما سميّ أدب حامل لكل معنى المقاومة والرفض، هو أدب يصف عذاب وقهر من هم داخل هذه العتمة.

يمكننا الإشارة لبعض الأجناس الأدبية التي تطرقت لهذا النوع من الأدب وهو "**أدب السجون**" وكذلك لقضية السجن وعالجتها من خلال كتاباتها الإبداعية.

- المسرحية:

اهتم هذا الجنس الأدبي أيضا بالسجن وعالجه وحاول التعبير عنه ووصفه إذ "اهتم بعض الأسرى بالمسرحية في نهاية السبعينيات ففي هذه المرحلة برزت محاولات لتأليف المسرحيات القصيرة، والتي كانت تعرض في الأمسيات الأسبوعية الترويجية أسهم في إيجادها ونشطها انعدام وسائل التسلية، والشعور بضرورة ايجاد وسائل ترفيهية ترويجية تزيل

[1] جميل السلحوت. أدب السجون. ص:10.

[2] رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في فترة ما بين 1985 إلى 2015م ، ص:202.

التوتر وتقتل الرتابة، وتشكل في الوقت ذاته محاولة فنية لإعادة سجن الأسرى بالطاقة والنشاط لاستقبال أسبوع جيد، كما جرى استغلالها لتعميق الوعي وتطوير المعرفة ومعالجة بعض القضايا الواقعية".[1]

حاول المعتقلون والمسجونون أن يقوموا بتأدية مسرحيات داخل السجن وذلك لزرع الفرح والتسلية ولمحاربة و طرد الكآبة والقلق والتعب.

من المسرحيات التي مثلت داخل السجن"**مسرحيةزنبقة الدم**" التي تعالج حكاية فتاة جرى اغتصابها من دخلاء على الثورة، وقد جرى تمثيلها على خشبة مسرح نصبوه من البطاطين ونجد كذلك مسرحية "**النفق لوليد الهودلي**".[2]

الخاطرة:

تعتبر الخاطرة من الأجناس الأدبية التي اهتم بها السجناء داخل السجون "إذ أبدع الأسرى في كتابة الخاطرة الأدبية كنثر أدبي صيغت فيه الكلمات ببلاغة وإمتاز بكثرة المحسنات البديعية، وهناك عدد كبير من الأسرى من اهتموا بهذا اللون من الأدب وكانت لهم مجموعات من الخواطر كتبوها في عتمات الليل."[3]

تعتبر الخاطرة من الفنون النثرية التي اهتم بها الأدباء داخل السجن، إذ أن لهم خواطر يكتبونها داخل تلك العتمة والتي تكاد تقتل إبداعهم فلكل سجين خاطرة يكتبها ليعبر عما يجول في خاطره من آلام و آمال.

كذلك نجد من الأجناس الأخرى التي عبرت تعبيرا صادقا عن تجربة السجن ومحنته "**الرسالة**"

---

[1] المرجع السابق، ص:198.

[2] المرجع نفسه، ص:198.

[3] المرجع السابق، ص:199.

"ومع مرور الوقت ومع تطور الامكانيات الأدبية للأسرى تحولت رسائل المعتقلون إلى أشبه بنصوص أدبية حملت مشاعرهم وعبرت عن أفكارهم، خاصة وأنهم كانوا يلجأون إلى الأسلوب الأدبي وإلى الاستعارات والألغاز والتمويه على الرقيب لكن البعض كان يعتمد الأسلوب الأدبي، بعد فتح المواهب والقدرات الأدبية خلف القضبان".[1]

يمكن أن نقر أن هذه الأجناس الأدبية حاولت من خلال مضامينها الكشف عن المعاناة والحزن، إذ يمكننا أن نلحظ بين سطور هذه الإبداعات اليأس والألم والشوق حيث كان نتاجا أدبيا متميزا عن النتاجات الأخرى فتنوعت بذلك كتاباتهم بين المسرح والخاطرة والرسالة، والتي وجدوا فيها ضالتهم للتعبير عما يختلج صدورهم وكذلك أن يشاركوا من خلال هذه الرسائل الآخرين همومهم وقهرهم بالرغم من أن هذه الأجناس لم تحضىباهتمام كبير.

يشغل موضوع السجن والتعذيب حيزا من خطاب الرواية العالمية والعربية فقد عرج العديد من الروائيين في حديثهم عن قضية "**السجن**" في أعمالهم الروائية، إذ جعلوا من الحرمان والإذلال والقمع متنا روائيا يحاولون فيه أن يخلقوا عالم موازي ومعادل لعالم الواقع.

"إن الرواية هي الأصلح والأقدر على استيعاب موضوع السجن لأنها النوع الأدبي الأقدر على إنطاق المسكوت عنه في الخطاب الثقافي والاجتماعي العام، والنوع الأجسر في مواجهة القمع وتعرية مشاكل التعصب".[2]

فالرواية تمثل عن طريق وسائلها الفنية فسحة للكاتب وتتيح له مساحة للتعبير عن مشاكل مجتمعه، وهي النوع الأنسب لمواجهة كل وسائل القمع والتخلف والجهل، فالرواية تحمل وتوثق كل تجارب الأفراد الفعلية خاصة إذا تعلق الأمر بالقمع المسلط على الأفراد وذلك في أبشع وأقبح صوره ألا وهو "**السجن**"

[1] المرجع نفسه، ص:199.

[2] جابر عصفور، فجر الرواية العربية، ريادات مهمشة، مجلة فصول، م16، ع04، 1998م، ص:13.

يعتبر "النثر فن متأصل في العلاقات الاجتماعية، والناثر يعثر أسرع من الشاعر على قاسم مشترك مع المساجين الآخرين في القاعة، وكونه يميل إلى الحكاية فهو بطبيعته محب للاستطلاع ويساعده هذا على إرساء علاقات مع زملائه.بالمحنة (في السجن) وبمقدور أن يتخيل بأنه يجمع مادة لمؤلفاته القادمة أو سيفكر على هذا النحو زملاءه في القاعة، ويعتبر ذلك تخليدا للحدث (أي السجن) وتوثيقا على أن هدف الكتّاب من ذلك هو ضرورة أن يدخل من هو خارج السجن إلى السجن لكي يعرف المرارة والعذاب، وهذا ما تحاول الرواية السجنية أن تورط القارئ به بمعنى تدخله في جوهرها وتضيف عليه وتجعله يحس بمدى الإهانة والعذاب الذين يتعرض لهما السجين".[1]

إن وجود السجن في المرويات يجعلها تكون أكثر واقعية حيث تتآلف معانيها لتصور لنا أحداث جرت في السجن وبين المساجين كما تنقل لنا مرارة السجن ،ويحاول في ذلك الروائي أن يدخل القارئ في عالم السجن يتحسس من خلال تلك المعاناة ويتشوق لمعرفة ما يحدث للسجين.

لذلك "يتعاطف القارئ مع شخوص الرواية، ويتم له ذلك إذا استطاعت الرواية الوصول إلى قلبه عن طريق عقله وبعد أن قدمت له تجربة جديدة يشتاق إلى معرفتها ويندفع إلى الإحاطة بها"[2].

فالعمل الروائي المكتوب داخل السجن يجعل قارئ الرواية السجنية يميل إلى التعاطف مع شخوص الرواية والشعور بالإحساس والمتعة.

" بدأت الرواية العربية تبحث عن طريق لها في أواخر القرن التاسع عشر (19) فكانت كتابات الطهطاوي والكواكبي والبستاني وعلي مبارك والشدياق وغيرهم ولقد أكدت

[1] عبد الرحمن منيف. الكاتب والمنفى.المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الدار البيضاء، ط3، 2001، ص:237.

[2] علي منصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007، 2008، ص:08.

كتابات هؤلاء الكتاب وغيرهم على معاني الحرية، هذا المفهوم الغربي ليزرعوه في مشروعهم الحضاري وذلك بفعل تأثير التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأوروبية التي أثرت فيهم".[1]

ركزت الرواية العربية على موضوع الحرية كتيمة أساسية في جل كتاباتها متأثرة في ذلك بنظيرتها الغربية، كما استفادت من المدارس الغربية لكنها حاولت من خلال هذه الإبداعات التي أنتجتها أن تكتب عن موضوع السجن باعتباره نقيض الحرية.

" مما يدل على أن مسألة الطغيان لم ترتبط بموضوع القمع الجسدي، وإنما بقيت تدور حول القمع الفكري والإرهاب الذي هرب منه عبد الرحمن الكواكبي من بلاد الشام إلى مصر وكتب كتابه "**أم القرى**" ليعبر عن القمع والإرهاب العثماني، وكانت رواية جورجي زيدان "**الانقلاب العثماني**" أولى الروايات التي بحثت في موضوع السجن وربطته بالحرية، فرامز بطل الرواية مثقف وله مواقف ورأي ومبادئ، يكتب في الصحف باسم مستعار انتقادا للحكومة، ويفشي سره صديقه "صائب" فيوضع في السجن".[2]

لقد استطاع ""**فارس الشدياق**" أن يبرز الظلم والهوان والذل الذي تعرض له أخوه "**في السجن**" على يد المتعصبين من رجال الدين الذين عذبوه إلى أن مات وذلك في كتابه "**الساق على الساق فيما هو الفرياق**" فيقول: أودعتموه السجن في داركم الوزيرية بقنوين نحوست سنين، وبعد أن أذقتموه جميع ضروب الذل والهوان والبؤس والضنك..."[3]

نجد حضور كبير للسجن في الروايات العربية على اختلافها، إذ عالج فيها الأدباء قضية السجن من منظور سياسي أو اجتماعي، معبرين عن ذلهم وهوانهم كما في كتاب الشدياق وغيره.

---

[1] المرجع نفسه، ص:122.

[2] المرجع السابق ، ص:122.

[3] المرجع نفسه ، ص:122.

نجد أيضا **رواية أمين الريحاني** "**خارج الحريم**" إذ تجمع هذه الرواية بين السجن الاجتماعي والسجن السياسي فجيهان بطلة الرواية المتمردة على العادات والتقاليد والأسرة تصطدم بالرجل الألماني الذي حاول تحويلها إلى خليلة له، مما يجعلها تقتل هذا الألماني فتوحد بذلك بين الحرية الاجتماعية والحرية السياسية".[1]

"كما كانت روايات "**جبران خليل جبران**" تعبر عن السجن الاجتماعي من خلال تقاليد بالية وذلك في مضامين رواياته، وكذلك فعل **طه حسين** في العديد من مؤلفاته وخاصة "**الأيام**" التي تعد نقلة نوعية في تصوير ثقافة الخوف بأحلى معانيها في صورة شاملة للحياة الاجتماعية في منطقة نائية، تعاني المرض والفقر والجهل...بذلك يختار صبيا فاقدا البصر يواجه هذه الحياة المفتوحة على مصراعيها على الخوف الذي يتهدده من كل جانب فالصبي يخاف من عاهته ويشعر بالنقص حين تقيده عادات المجتمع والأسرة فيعيش بعد ذلك **سجنين** "**سجن المجتمع وسجن الذات**"".[2]

شغل موضوع السجن اهتمام الكثير من الكتاب، والروائيين العرب، إذ أخضعوا كتاباتهم الروائية لمعالجة هذا الموضوع مبرزين في ذلك أهم المراحل التي مر بها السجين السياسي أو السجين العادي فقد حورت تلك المعاناة والعذاب إلى كتابات كسروا بها حاجز الصمت الذي يعم السجن، فكانت ابداعاتهم في ذلك أكثر تعبيرا عن حالة واقعية عاشها أفراد في غياهب السجن.

لقد تعرض لموضوع السجن أيضا أدباء وكتاب جزائريون وذلك في أعمالهم الروائية أو القصصية، إذ صوروا بشاعة السجن وقد تناولت هذه الأعمال موضوع السجن الاجتماعي والسجن الفعلي معبرة عن الحياة القاسية التي عاشها الشعب الجزائري مصورا في ذلك أهم تفاصيلها.فقد كانت المدن والقرى بمثابة سجن كبيرا لهم إذ "كتب "**محمد ديب**" في سنة

[1] المرجع السابق، ص:123.

[2] المرجع نفسه، ص:123.

1957 قصته "**في المنفى**" وهي أول مجموعة قصصية كتبها وفيها يظهر "**المقهى**" ليس كمكان روائي فقط لكنه يعتبر مرجعا يحيل على عوالم اجتماعية وتجربة حياتية ثرية مر بها الكاتب من ثم المجتمع الذي ينتمي إليه المجتمع الجزائري".[1]

"ثم أصدر الكاتب السوري "**زكريا تامر**" مجموعته الأولى "**صهيل الجواد الأبيض**" وكانت تبشر بيأس لا فرار منه في خضم أفواح الوحدة والانتصارات القومية ثم إصدار مجموعته الثانية "**ربيع في الرماد**" حيث يبقى البطل هو الثوري المنتصر بينما أحاط زكريا تامر أبطاله بالسجن والموت والظلام".[2]

تعتبر هذه النماذج التي ذكرناها أي كتابات **محمد ديب** "**في المقهى**" وأعمال "**زكريا تامر**" من الإبداعات التي أطرت للسجن وعالجت موضوعات تخص المجتمع وما يعانيه أو ما يخص فردا في حد ذاته محاولين في ذلك ايجاد حلول.

كما كانت تجربة الاعتقال والتعذيب حاضرة بقوة في أعمال **غالب هلسا** وذلك في روايته "**الضحك**" "ورغم البداية المتفائلة لرواية الضحك تنتهي صفحاتها نهاية كئيبة، الضعف والهشاشة، إذ تروي الرواية قصة حب بين مناضل ومناضلة من الشيوعيين المصريين وذلك خلال فترة العدوان الثلاثي على مصر عام **1956**".[3]

فبحكم معايشة غالب هلسا للسجن الحقيقي فأعماله الإبداعية ناتجة عن صدق التجربة والعاطفة مجسدا هذا القهر والعذاب والتنكيل في أعماله الروائية إذ نجد أن هذه الرواية المعنونة بالضحك تطرح عبر صفحاتها أنماط من السجون العربية وهذا ما أقره هلسا:

[1] علي منصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، ص:124.

[2] المرجع نفسه، ص:126.

[3] شعبان يوسف. أدب السجون. الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2014، ص:117.

"أنه لم يعش في أي قطر عربي أكثر من شهر إلا وشرفتني حكومة ذلك القطر بإدخالي إلى سجنها".[1]

ثم صدرت رواية ""**شاكر خصباك**""**الحقد الأسود**" مرحلة جديدة لمفهوم الحرية والانتماء فكان السجن بارزا لقهرالإنسان العربي".[2]

يمكننا القول أن هذه النماذج الروائية حاولت أن تعبر عن السجن في مضمونها إذ جعلت منه تيمة رئيسية في إنتاجها الأدبي.

"كما أصدر "**صنع الله ابراهيم**" مجموعة من رواياته المعنونة ب: **تلك الرائحة** التي صدرت **عام 1966** إذ تمتلك امتياز الريادة في تسجيل تجربة السجن في الرواية المصرية الحديثة".[3]

شكّل أدب السجون هاجسا لعديد من الكتاب العرب الذين عاشوا محنة السجن وذاقوا مرارة التعذيب والقهر والأسى منهم الكاتب صنع الله إبراهيم وغالب هلسا وغيرهم.

حيث"سلطت الرواية العربية الضوء على الأزمة الحادة.التي تواجه الحرية السياسية في العالم العربي من خلال رصدها لواقع تلك الأزمة، وتجسيدها في مشكلات الأبطال الروائيين العامة والخاصة، فصورت حصارا ومطاردة وتعذيب هؤلاء الأشخاص عبر تناولها حياة السجن كنقيض للحرية".[4]

هذا يعني أن الرواية العربية حاولت أن تعالج هذه القضية (السجن) باعتبار غياب الحريات وممارسة القمع داخل السجون إذ حاول الأدباء التعبير عن هذه الأزمة في أعمالهم

---

[1] المرجع نفسه، ص:118.

[2] علي منصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، ص:126.

[3] المرجع نفسه، ص:126.

[4] شعبان يوسف. أدب السجون. ص:41.

الروائية مجسدين أبشع صور العذاب والخضوع الانكسار، مترجمين في ذلك الأذى الجسدي والنفسي الذي يتعرض لهما السجين.

وهذا ما نلاحظه في رواية "**شرف**" **لصنع الله ابراهيم** التي صدرت **سنة 1997** إذ تصور هذه الرواية أبشع أنواع العذاب الذي تعرض له البطل "**أشرف**" أو الشخصيات الأخرى الموجودة داخل السجن، حيث مثل السجن فضاء مغلق يصور الظلم والمعاناة التي يخضع لهما السجناء بين جدران السجون "لم يرفع شرف عينه عن زجاجة المياه وأثار برودتها المنعكسة على جدرانها ولعله لم يشعر بالعطش في حياته كما شعر به الآن. لكن السبيل كان ممتنعا عليه..."[1]

حاول صنع الله ابراهيم في هذه الرواية أن يبرز أهم مظاهر الردع والتعذيب في السجن والتي تعرض لها بطل الرواية، إذ نجد السجين محروم من أبسط متطلبات الحياة مرغم على العيش في جو تتوسطه الكآبة والقمع والإذلال والخضوع؛ كما تطرقت الرواية العربية إلى مظاهر القمع غير المباشر إذ "لم تكتفي الرواية العربية بتناول هذا القمع المعلن بل نظّرت إلى مظاهر القمع غير المعلن الذي تمارسه السلطة من خلال مؤسساتها ودوائرها البيروقراطية، ومن أمثلة الروايات التي جسدت هذه الحالة: **قالت ضحى وشرق النخيل لبهاء طاهر، الوشم لعبد الرحمن الربيعي، حكاية مؤسسة لجمال الغيطاني**"[2]

مازالت الحرية تمثل هاجسا للروائيين والمبدعين العرب، خاصة الأدباء الذي تعرضوا للسجن والاعتقال إذ تحمل أعمالهم الإبداعية أشكال وصنوف متنوعة ومختلفة للتعذيب في حق المساجين العاديين أو المساجين السياسيين.

[1] صنع الله ابراهيم. "شرف". مؤسسة دار الهلال، دط، 1997، ص:35.

[2] سمر روحي الفيصل. السجن السياسي في الرواية العربية. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1983، ص:314.

"وقد عالجت الرواية كافة أشكال القمع التي تمارس ضد السجناء السياسيين ومن بينها تعمد سلطات السجن إهانتهم نفسيا وتعذيبهم جسديا بقسوة بالغة".[1]

تعمدت السلطة إلى إخضاع السجناء السياسيين إلى التنكيل والتعذيب والإذلال وإنزال بحقهم أبشع العقوبات وذلك باعتبار أن السجين السياسي في نظر السلطة هو أسير مخالف بآراءه وأفكاره القانون، لذا أصدروا في حقه كل أصناف وأنواع القمع والاهانة الجسدية التي يتولد على إثرها أمراض وعقد نفسية.

"وقد حاد هذا الأمر **عبد الرحمن منيف** الذي تعد تجربة السجن إحدى المحاور الرئيسية لأعماله الروائية إلى القول: إن الفارق بين مكان وآخر في المنطقة العربية، فارق نسبي وليس نوعيا، فالسجن السياسي مثلا في أي بقعة عربية لا يختلف عن بقعة أخرى".[2]

تبرهن هذه الحالة إلى أن السجون كلها لا تختلف في طريقة معاملة السجناء والتنكيل بهم وتعذيبهم وإخضاعهم لأشد وأقصى العقوبات سواء كانت جسدية أو نفسية، إذ لا يزال هاجس السجن وظلمته ومحنته وآلامه الموضوع الذي يسيطر على مخيلات الأدباء الذين عاشوا هذه الفترة أو هذه الأزمة فترجموه إلى أدب يطفح بالمأساة والبحث عن الوجود والكينونة خلف أسوار القمع والنفي.

ونجد أيضا رواية "**رحلة إلى الله**" كيف كان السجناء يتعرضون لإهانات شديدة فنجد "**عطوة الملواني**" مدير السجن يؤكد أن كلبته أهم لديه من مائة سجين إذ يقول لأحدهم: "توسكا برقبتك ورقبة مائة من أمثالك"".[3]

---

[1] شعبان يوسف. أدب السجون. ص:42.

[2] المرجع السابق، ص:43.

[3] نجيب الكيلاني. رحلة إلى الله. كتاب المختار، القاهرة، ط20، 1979، ص:116.

جسدت رواية **نجيب الكيلاني** حقيقة عاشها في السجن الحربي محاولا عبر صفحات هذه الرواية تصوير المعاناة التي يتعرض لها الأسرى من طرف الجلاد **(السجان)**، فالسجين في نظرهم ليست له قيمة ولا يمتلك أي حق في الرفض أو المطالبة بالحرية إذ يتعرض لكل أساليب التهميش والإقصاء والإذلال.

من النماذج الروائية التي تعرضت لموضوع السجن نجد: "**رواية السردابرقم (02)**" للعراقي **يوسف الصائغ** له نفس الرأي إذ يقول: "أنتم أقل من الحيوانات وحين يشكون من رداءة الطعام، يصرخ فيهم: هذا الطعام الذي تستحقونه وستأكلونه رغما عنكم".[1]

وأيضا في رواية "**الآن هنا**" أو "**شرق المتوسط**""**لعبد الرحمن منيف**" ففي هذه النماذج الروائية يؤكد عبد الرحمن منيف الوضع المزري للسجناء داخل السجن إذ يفتقرون لأبسط متطلبات الحياة من مأكل وملبس ،فرضت سلطة السجن عليهم السكوت والرضوخ، إذ نجد حوار قد دار بين شخصيتين الأولى وهي شخصية "**الطيب**" والنقيب مدحت عثمان ضابط السجن إذ يقول: "له الطيب الشروط غير صحية، التغذية سيئة، النظافة معدومة، فيرد النقيب ساخرا: هذا سجن يا حكيم، هذا مكان للتأديب يا أفندي هذا ما هو مصيف، ولا فندق خمس نجوم".[2]

وهنا يحمل السجن دلالات التعذيب والوحشية والظلام، ويحمل بين جدارنه أبشع الصور التي يخضع فيها السجين لأقسى وأكثر أنواع العذاب، لذا نجد الأديب في روايته يقدم لنا السجن كحيز يعدم فيه الإنسان ويغيب ويهمش يحاول من خلال هذه المفردات أو المعاني تقريب الصور بشكل واضح للقارئ لكي يستطيع بدوره تخيل أوضاع المساجين داخل السجون.

---

[1] يوسف الصائغ. السرداب رقم (2). سلسلة آفاق الكتابة، القاهرة، ط1،1997،ص:78- 88.

[2] عبد الرحمن منيف. "الآن...هنا" أو "شرق المتوسط مرة أخرى". مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، نيقوسيا، ط1،1990،ص:427.

"لقد جسدت الروايات العربية في مضامينها موضوع القمع والإذلال لأن موضوعها هو الواقع المعاش، الحاضر القائم في الكل والتفاصيل، لذلك فإن رواية القمع تبقى في التاريخ صورة وانعكاسا وشهادة."[1]

يمكن القول أن موضوع القمع يعتبر تيمة أساسية في الرواية العربية وفي الأعمال الإبداعية للكتاب العرب على وجه خاص، وذلك نتيجة ما تعرضت له البلدان العربية من استعمار الذي مثّل بدوره السجن الأكبر لهم، حيث يعتبر الإنسان سجينا وهو في بلده ثم ذلك السجن الواقعي وهو السجن الفعلي داخل الوطن يتعرض فيه السجين لشتى أشكال الاستيلاب والإذلال كما تخضعهم السلطة للعزل وغيره.

كانت الرواية العربية من أكثر الأجناس ارتباطا بالواقع العربي، وذلك باهتمامها بمشاكل المجتمعات وقضاياها، فكانت أكثر الأنواع تعبيرا عن الممارسات القمعية، فقد ركزت على تجربة السجن وأولتها اهتماما كبيرا وهذا من خلال النماذج الروائية التي تعرضنا لها.

إذ نجد أحد الكتّاب يعلق على ظاهرة السجن في الوطن العربي فيقول: "صورة السجن في الوطن العربي الذي يتميز بسجناء الرأي والضمير حتى يكاد يصعب أن نتذكر اسم أديب عربي معاصر لم يعرف السجن والاعتقال، فالتوقيف ظاهرة تجمع كل المثقفين العرب من المحيط إلى الخليج، ولعلنا استنادا إلى هذا أولى من غيرنا يسيّر أغوار أدب السجن باعتباره جنسا أدبيا متميزا في ثقافتنا، يندرج في الأدب المناهض".[2]

ونخلص إلى أن أدب السجون من الآداب التي حظيت باهتمام كثير من الأدباء على الصعيد العربي فأبدعوا وكتبوا روايات عالجت هذه القضية، وجسدوا فيها معاناة المسجونين

[1] علي منصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، ص:130.

[2] فريال جبوري غزول، قصيدة السجن من البيان إلى البلاغ، مجلة الفصول، م11، ع03، 1992، ص:10.

سواء كانوا أدباء أم سجناء عاديين إذ أعتبر جنسا أدبيا متميزا في الثقافة العربية كما أن هناك من تخصص في كتابة الرواية السجنية.

"إن الكاتب الواقعي كما يذكر "**محمود السمرة**" مؤمن بمجتمعه وانسانيته، يقابل أزمات عصره بجرأة وشجاعة وواقعية، وهو يعرض علينا الإنسان في حيرته وانهزامه وصراعه وكفاحه من أجل تحسين واقعه دون القيد بقانون أخلاقي صارم يفرض نفسه عليه والانهزامات المتعاقبة لا تفقد هذا الإنسان ثقته بنفسه، بل يؤمن دائما أنه بكفاحه المستمر يستطيع خلق مجتمع جديد".[1]

تشير المقولة السابقة إلى أن أدب السجون من الآداب التي تعرض قضايا واقعية ولعل أهمها على الإطلاق قضية "**السجن**" حيث يعبر المبدع فيها عن انهزاماته وحيرته والقهر والظلم الذين يتعرض لهما على يد السلطة الحاكمة، لكن رغم هذا الوضع المأساوي فأديب السجون يكافح ويصارع هذا الواقع بأسلوبه وكتاباته محاولا في ذلك إيجاد حلول عن طريق تحسين أوضاع المجتمعات وخلق فكرة ورؤية وواقع أفضل.

"ومن النماذج الروائية التي عالجت تجربة التحقيق والاعتقال وظروف السجن، رواية "**ستائر العتمة**" للروائي "**وليد الهودلي**" فقد طبع الجزء الأول منها ثماني طبعات، أربعون ألف نسخة والتي لم يسبق لرواية فلسطينية من داخل السجون وخارجها أن تنشر بهذا الكم، وتم تحويلها إلى فيلم في عام 2015م".[2]

عبرت الرواية العربية عامة عن محنة السجن والأسر في إبداعات وإنتاجات مختلف الأدباء والتي جسدوا فيها تجاربهم السجنية فقد نقلوا عبر صفحات كتاباتهم كل حالات الاضطهاد التي يعانون منها، فنذكر على سبيل المثال الروايات الفلسطينية التي تعتبر

[1] طه وادي. الرواية السياسية. الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،القاهرة، دط ، دت، ص:271.

[2] رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في فترة ما بين 1985 إلى 2015م ، ص:196.

الأنسب والأقدر على تصوير هذه المعاناة،بشتى أنواعها وضروبها، فالكتابة تحت القيد والسلطة والمراقبة والعقاب تعتبر تحدي وشجاعة من قبل أدباء وشعراء حطموا الحواجز والقيود وجعلوا من معاناتهم نتاجا أدبي يفضح كل أساليب التنكيل الذي تعرضوا له.

كما نجد الروائي الأسير المحرر "**رأفت خليل حمدونة**" "الذي كتب مجموعة **الرباعيات الوطنية** والتي تضم أربع روايات هي "**عاشق من جنين**" و"**لن يموت الحلم**" و"**قلبي**" و"**المخيم**" و"**الشتات**" التي طبعت طبعتين وقد وصفها **صادق أبو سليمان** ب:"**رباعيات العشق**" كونها بلا ريب تذكر أدب الأدباء الثوار الذين خاضوا تجارب الثورة والنضال والمعاناة والحرمان والتعذيب".[1]

يعتبر الأدب الفلسطيني أيضا من الآداب التي تطرقت لقضية السجن إذ عالج الأدباء الفلسطينيون أزمة الاعتقالات والأسر والتعذيب في السجون الاسرائيلية فقد وجد هؤلاء الكتاب في الكتابة والإبداع مصدر لمحاربة العدو الصهيوني فكتبوا روايات تصور الظلم والمأساة.

كذلك من النماذج الروائية التي عبرت عن تجربة "**السجن**" رواية "**القوقعة**" للكاتب السوري **مصطفى خليفة** تحدث فيها عن معاناته ومعاناة السجناء وعن طرق التعذيب والوحشية التي تعرضوا لها وذلك على امتداد ثلاثة عشرة عاما (13 عام).

"ففي السجن الصحراوي لا يوجد أقلام للكتابة في هذا السجن الضخم الذي يحتوي على سبع ساحات إضافة إلى الساحة صفر...".[2]

يمكننا القول أن معظم الروايات التي تطرقنا إليها كانت دليلا وبرهانا على حياة السجناء داخل السجن وما تعرضوا له من قمع، إذ يقحم الروائي القارئ في عالم السجن

[1] المرجع السابق، ص:196.

[2] مصطفى خليفة. القوقعة (يوميات متلصص). دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت ،ط4،2014،ص:04.

ويجعله يتخيل أو يعايش تلك الفترة فنجده يجعل من الرواية السجنية معادلا موضوعيا لحياته وتجربته الشعورية ورؤيته الفكرية.

تعد الرواية الجنس الأدبي الأقدر على الإلمام بقضايا السجين والمعتقل، لأنها تمنحه فرصة التوغل في تفاصيل هذه الحالة الإنسانية الاستثنائية وهي حالة السجين الموجوع المكبوت المقموع.

الفصل الثاني:

صورة البطل و بنيتي المكان و الزمان في رواية " تلك العتمة الباهرة " لطاهر بن جلون

1-صورة شخصية البطل في رواية تلك العتمة الباهرة .

2-مستويات المكان في رواية تلك العتمة الباهرة .

3-المكان كتجربة معيشة.

4-المكان المعادي (السجن).

5-غربة السجن و تأثيره في نفسية البطل.

6-مستويات الزمان في رواية تلك العتمة الباهرة.

7- الزمن النفسي.

1- صورة شخصية البطل في رواية "تلك العتمة الباهرة":

أ- صورة البطل السجين:

قبل أن نتحدث عن البطل السجين لا بد أن ندرج حديثا عن البطل في العمل الروائي أو الشخصية المركزية بعيدا عن الفضاء السجني "يشكل البطل ضرورة ملحة للعمل الروائي و هو عبارة عن مجموعة من التناقضات المتفاعلة و تنبع أهمية البطل من مدى تأثيره في من حوله و من الدور الذي يؤديه في المجتمع، و البطل عبارة عن حقيقة مادية و موضوعية مرتبطة بالزمان و المكان، و ليس وهماو نبتعد أكثر عندما نقول و ليس استيهاما"[1]

نقصد بشخصية البطل في العمل الروائي، الشخصية المركزية أو الأساسية و التي تبنى عليها أحداث الرواية فالبطل شخصية تخالف أفكار و تطلعات الشخصيات الأخرى يوليها الروائي مهمة رواية الأحداث. فشخصية البطل هي "الشخصية المركزية التي يختارها القاص للتعبير عن أفكاره و أحاسيسه كما أنها تعتبر من أهم الشخصيات في العمل الروائي حيث تتمتع الشخصية الفنية المحكم بناءها بالاستقلالية في الرأي، و حرية الحركة داخل مجال النص القصصي."[2]

تتميز الشخصية الرئيسية في العمل الروائي بالحرية و الاستقلالية حيث يوكلها الروائي مهمة قص و رواية الأحداث و هذا ما نجده في رواية تلك العتمة الباهرة حيث نجد صوت البطل و الراوي سليم يسيطر على الحكي في الرواية.

---

[1] محمد أيوب. الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة (في الضفة الغربية و قطاع غزة 1967-1993). اتحاد كتّاب العرب، سوريا ، دمشق، دط ، 1996، ص: 38.

[2] شريبط أحمد شريبط.تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة. دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2009، ص :31.

"إن استعمال مصطلح "البطل" لا يرد بمعنى البطولة الفروسية و لكن بالمعنى الفني أي الشخصية الرئيسية في الرواية التي تشكل بؤرة مركزية لا يمكن تجاوزها أو تجاوز مركزيتها"[1].

فشخصية البطل تعتبر شخصية مهمة و مركزية يوليها الكاتب أهمية كبيرة مقارنة بغيرها من الشخصيات، و هذا ما نجده في رواية "تلك العتمة الباهرة" حيث أوكل بن جلون مهمة رواية الأحداث المأساوية للأسرى المعتقلين داخل زنزانات "تازمامارت" للراوي و البطل "سليم".

فالراوي سليم الذي أوكله الروائي الطاهر بن جلون مهمة رواية الأحداث، كان من بين المعتقلين في سجن قنيطرة في المرة الأولى ثم السجن الذي يقطر ألما و قهرا و سوادا حيث يطلق عليه سليم صفة المقبرة أو الحفرة "كنت أقع في الحفرة كجراب رمل كرزمة لها هيئة إنسان أقع و لا أشعر بشيء"[2]

فقد كشف لنا "سليم" المعاناة الرهيبة للسجناء داخل تلك الزنزانة الضيقة المعتمة حيث يشعرون فيها بانعدام الحياة فقد كانوا ينتظرون الموت لأنها تمثل بالنسبة لهم راحة من العذاب.

كما يمكن القول أن البطل "سليم" في الرواية قد كابد مختلف صنوف التعذيب و الاستفزاز حيث جرد من إنسانيته و كان في نظر السجان مجرد حيوان لا يستحق أن يعيش فقد تسربت رائحة الموت إلى الزنزانة لكن "سليم" حاول تجاوزها أو نكرانها كما يقول أو بالأحرى محاولة التأقلم مع هذه الرائحة كما اقتصرت مهمة حراس السجن أو السجان على إطالة مدة عذاب و قهر المساجين داخل تلك الحفرة القاتلة.

[1] علي منصوري، البطل السجين السياسي في الرواية المعاصرة ، ص: 177.

[2] الطاهر بن جلون. تلك العتمة الباهرة .تر. بسام حجار . دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2002،ص:10.

" من المؤكد أنهم ألقوا بنا هناك لكي نموت ...فقد كان على أجسادنا أن تعاني التحلل شيئا فشيئا و أن يطول أمد عذابنا لكي يتسنى له أن ينتشر ببطء و ألا يغفل عضوا أو رقعة."[1]

فقد حاول الراوي السجين سليم الذي يحمل الرقم 07 كما كان يقول أنه كان سابع المصطفين أثناء الاعتقال "أحمل الرقم 07 المقدر –كنت سابع المصطفين عند اعتقالنا لا أكثر و لا أقل."[2]

فقد تجاوز "سليم" تلك الذاكرة التي تذكره بين الفينة و الأخرى بالحياة خارج أقبية السجن و الحرية التي صودرت منه.

"كنت إذا لاحت لي الذكريات و راودتني ، أبذل ما أوتيت من قدرات لكي أخمدها و أقطع عليها الطريق، و تدبرت نهجا حرفيا للتخلص منها"[3].

فقد كان "سليم " متصالحا مع نفسه محاولا في كل مرة تذكير نفسه أن لا عائلة له و لا حياة خارج هذا المكان فقد أفلح في التجرد من ذاكرته و إهمال الماضي و رفضه متجاوزا ذلك الزمن و ارتبط فقط بالجزء الصغير من ذاكرته التي صنف فيها أهم الدواوين التي حفظها و كذلك القرآن الكريم و قصص و حكايات قرأها كما ألزم نفسه بضرورة حفظ اسمه و عدم نسيانه فهذا ما تبقى داخل هذه الحفرة المظلمة.

حملت الزنزانة رمزا مثّل الموت و الفناء بالنسبة للبطل سليم و لباقي المساجين داخل السجن فكلما تخلص سليم من مشاعر الحقد و الكراهية و الانتقام و كذلك الماضي و الذاكرة و فكرة الانتحار كلما كان الموت أبعد مسافة منه إذ نجده يستحضر آيات قرآنية بكثرة لقوله:

[1] المصدر السابق، ص :18، 19.

[2] المصدر نفسه، ص :26.

[3] المصدر نفسه، ص:27.

" رحت أفكر في الله و في ما ورد في القرآن عن الانتحار : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا."[1]

وتظهر أيضا علاقة "سليم" بباقي المساجين داخل الزنزانة علاقة طيبة فقد كان راوية بالنسبة لهم يرفه عنهم و يخفف أوجاعهم لأنه كان مثقفا و كثير الارتباط بالقراءة و المطالعة و حفظ الشعر حتى عندما كان في المعسكر في فترة الإجازة كان يشتري كتبا كثيرة.

يعتبر البطل السجين بطل واع بمأساته و مأساة مجتمعه محاولا إيجاد حلول لها، و نجد في الرواية أن سليم واعي بما يحصل في بلده و كذلك في السجن القاهر الذي يوضع فيه الإنسان و يسام فيه أبشع العقوبات فيموت قهرا و مرضا، إذ صور "تازمامارت" السجن الذي نفي فيه "سليم" و أصدقاءه و أكبر السجون و أبشعها في المغرب فقد كان بعيد عن منظور الشعب لا يعلم بوجوده غير القادة و الجنرالات و غيرهم يوضع فيه أي إنسان حاول تخطي القوانين و المساس بالسلطة و الملك.

يمثل "سليم السجين رقم 07" راوية للأحداث التي جرت يوم الانقلاب العسكري على قصر الصخيرات و كذلك كان شاهدا أيضا على معاناة المساجين في سجن "قنيطرة" وسجن "تازمامارت"، فقد كانت فكرة التشبث بالحياة و التصالح مع النفس ركيزة مهمة بالنسبة للبطل لكي يطمس القهر و العذاب و قد تمسك أكثر بإنسانيته فلم تتمكن المدة التي عاشها في السجن من أن تهدم إنسانيته و هويته إذ يسعى جاهدا للتخلص من الوجع المقيم فيه و الشقاء و الاكتفاء باللحظة القارة"أدركت أنه ينبغي أن أتمالك نفسي أن أسلك مجددا درب الفكر السامي الذي لا ينتهي."[2]

عاش البطل السجين سليم في سجن "تازمامارت" أبشع الأيام حيث كان يعاني لكن بصمت فلم يتجرأ على البوح بما كان يعانيه لأحد، فقد ذكر في الرواية أنه كان ملازم أول في صفوف الجيش و قد رقي إلى هذه الرتبة في 09 من تموز 1971 كما أنه كان من بين الضباط الذين أقاموا الانقلاب على قصر الصخيرات.

[1] الطاهر بن جلون. تلك العتمة الباهرة. ص :29.

[2] المصدر نفسه، ص :185.

فشخصية البطل هي من بنيات السرد الواجب توفرها في السرد الروائي الذاتي، إذ أن البطل ذا شخصية فاعلة في العالم الروائي بحيث يسند إليه دور مهم داخل العمل الحكائي و هذا ما تجلى في الرواية حيث أوكل بن جلون مهمة رواية الأحداث على عاتق سليم و اعتبره راوية ، إذ أن الراوي هو العنصر الفاعل في كل عملية بناء كما أنه هو الذي يجسد المبادئ التي تنطلق منها الأحكام التقويمية و يخفي أفكار الشخصيات " و يمثل الوسيط الفني الذي يقدم أحداث القصة من خلال وجهة نظره الخاصة أو منظوره الشخصي."[1]

فالبطل في رواية "تلك العتمة الباهرة" يمثل محور أساسي بحيث يحضر على مستوى النص بأكمله و بشكل مستمر لأنه كان من بين المعتقلين داخل سجن "تازمامارت" و شاهدا على أحداث الصخيرات .

" كلما كانت الشخصية –البطل– قريبة من الواقع حافلة بعناصر الإقناع مكتملة الملامح و السمات ، أصبحت أكثر جاذبية و أعمق تأثيرا."[2]

فالشخصية تمثل العنصر المساعد على تقديم أحداث العمل الروائي و سيره وفق الدور الذي أسند إليها، إذ أن الشخصية التي جسدها بن جلون في روايته شخصية رافضة للواقع الذي يعيشونه داخل أقبية تازمامارت، لذا فالبطل سليم أكثر واقعية كما أنه ناقم على السلطات الحاكمة رافض للأوضاع السائدة في البلد.

ب– البطل الضحية:

إن قسوة الواقع الذي يعيشه السجين و التمزق السياسي و الاجتماعي اللذان يتعرض لهما البطل "سليم" تظافرت جميعها لتخلق نوعا من الضياع و القسوة و الموت و ذلك حين

[1] عمر عبد الواحد. شعرية السرد .تحليل الخطاب السردي في مقامات الحريري. دار الهدي للنشر و التوزيع، ط1، 2003، ص :09.

[2] المرجع نفسه، ص :15.

كان البطل ضحية مؤامرة و انقلاب، فقد كان يعيش داخل جدران السجن أو المقبرة أو الحفرة كما كان يسميها أصعب اللحظات و قد كان ضحية الجلادين و السجانين و ضحية تعذيبهم و إخضاعه لأقسى العذاب و حرمانه من أبسط المتطلبات منها المأكل و المشرب و النوم، فقد كانت الزنزانة ضيقة توجد بها فتحة صغيرة للتهوئةفقط، فالبطل لم يكن من العقول المدبرة للانقلاب العسكري بل كان من الرتباء ينفذون الأوامر فقط، و قد تعرض البطل "سليم" للتعذيب من طرف حراس السجن "نحو الثالثة فجرا فتح باب زنزانتي و انقض علي ثلاث رجال أحدهم كبّل يديّ بالأصفاد و أخر عصب عيني بشريط أسود و الثالث فتشني واستولى على ساعتي و المال القليل الذي كان في جيبي."[1] نتيجة المأساة التي تعرض لها البطل داخل السجن و سوء معاملة الحراس للسجناء عامة و حرمانهم من أبسط حقوقهم، فقد كان "سليم" ضحية أمراض كانت نتيجة لعدم توفر الأكل و الراحة و غيره.

"على هذا النحو أمضيت ثمانية عشر عاما و بالضبط ستة آلاف و ستمائة و ثلاثة و ستين يوما لا أطعم إلا النشويات و الخبز اليابس لم أعرف اللحم لم أعرف السمك و ينبغي ألا أقول أطعمت بل أبقيت على قيد الحياة".[2]عاش "سليم" ضحية للسجن و السجان و كذلك ضحية لمؤامرة قام بها رجال و قادة في الجيش.

هذه التجربة المريرة التي عاشها "سليم" داخل السجن أضفت به إلى أن يشق طريقه و أن يكسر قيد الخوف من السلطة الحاكمة و من سيكولوجية القهر التي تعرض لها منذ دخوله سجن "تازمامارت" الموحش ففي محاولته التخلص من هذا الواقع الذي ساد فيه الظلم و الاستعباد و القمع يجد نفسه ضحية لهيمنة الحكم الاجتماعي و السياسي.

فالبطل الضحية لا نقصد به البطل الذي "راح ضحية الظروف الإنسانية العامة كالموت و المرض و الزلزال بل إن ما أعنيه هو الإنسان أو الجماعة من الناس الذين فرض

[1] الطاهر بن جلون."تلك العتمة الباهرة".ص:29.

[2] المصدر نفسه، ص :46.

عليهم العذاب أو الموت بفعل الآخرين. قد يعود هذا إلى طغيان التقاليد و المعتقدات غير أن ظلم التقاليد هو ظلم اجتماعي لا يقع إلا عن طريق الآخرين."[1]

فسجناء "تازمامارت" فرض عليهم العذاب و القهر و الإذلال و الخضوع لحكم السلطة و هيمنة الجلاد.

نستطيع أن نقول أيضا أن البطل كان ضحية للذاكرة التي لطالما سعى لنسيان الأحداث التي جرت في الماضي و أنه مجرد من ذاكرته و أنه يعيش بلا زمن و لا طفولة "كنت أردد تلك البداهاتكيما أنهك الصورة ريثما تتلاشى و تغرق في النسيان هكذا حين كانت صورة أخرى تسعى لأن تنبثق من الذاكرة كنت ألغيها متظاهرا بأنني أحرقها. فأقول في سري: أنها لا تعنيني، لقد أخطأت الخانة و أخطأت الشخص المعني."[2]

نجد أن البطل داخل تلك العتمة يشعر أنه لابد له أن يعاني أن يقهر و يعذب و أن يحيا على مر الثواني قسوة و أوجاع الجسد و الذهن.

لقد حاولت الروايات السجنية أن تعالج قضية القهر و الاستبداد التي يعاني منها الشعب و المجتمعات و المساجين، خاصة كما يمكن أن نلاحظ أن "الأدب العربي الطليعي المعاصر حافل بصور الضحايا و يحمل دائما معنى الاحتجاج و النقد الاجتماعي أو السياسي."[3]

أي نقد الأوضاع السائدة في المجتمعات و التي يكون ضحيتها الشعب الذي يعرّض للقهر و التعذيب من طرف السلطات الحاكمة و هذا ما نلاحظه في ثنايا رواية "تلك العتمة الباهرة" إذ أن السجين فيها لا يمتلك حق حتى في الحياة جردوا منه اسمه الذي يعني هويته و مارسوا عليه أبشع العقوبات التي خلّفت طوال مدة السجن أمراض جسدية و نفسية .

---

[1] صبحية عودة زعرب. غسان كنفاني. جماليات السرد في الخطاب الروائي. دار مجدلاوي،عمان، الأردن،ط1، 1426هـ-2006،ص:38.

[2] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:28.

[3] عبد الله حسيني، روح الله صفري، صورة البطل في أعمال غسان كنفاني الروائية –قراءة في (رجال في الشمس) و (ما تبقى لكم) أنموذجا، مجلة مركز دراسات الكوفة، ع42، 2016، ص:133.

"لما شرعوا بنقلنا ليلا معصوبي الأعين، توقعنا أن يتلقى كل منا رصاصة في مؤخر رأسه و لكن لا .إنها منحة لا يستحقها ،طبعا. كان مقدرا لنا أن نموت، و لكن ليس على الفور. إذ ينبغي أن نعاني أن نحيا على مر الثواني أوجاع الجسد."[1]

إن السياسة القمعية التي طبقتها سلطات سجن "تازمامارت" في حق المساجين تحمل بين ثناياها كل صنوف التعذيب و التخويف و القسوة على السجناء ليكونوا عبرة لمن أراد التعدي على السلطات و الحاكم.

جـ – البطل المغترب:

يعيش البطل نوعا من الغربة داخل "السجن" و حالة من اليأس و العجز الذي يفصله عن عالمه الخارجي، فالغربة التي يعيشها البطل هي غربة داخل وطنه أي غربة السجن و الإقصاء و النفي و الأسر و البعد عن الأهل و الأحبة كما يعيش غربة داخلية أي نفسية بمعنى الانفصال عن ذاته و تطلعاته و أفكاره.

"الاغتراب حالة من العجز تفصل العروة الوثقى بين الإرادة و الإنسان و من ثم الجماهير فلا يتحقق لهما الاندماج و من ثم الفعل الايجابي فيصبح الفرد ممسوح المعالم و الإرادة."[2]

الاغتراب يمثل السبب الوحيد الذي يفصل الإنسان عن هويته و حتى عن مجتمعه، إذ يدل على حالة النفي و البعد و الإقصاء المكاني و الروحي بالنسبة للفرد و هذا ما عانى منه السجناء داخل سجن "تازمامارت" المغربي مغتربين عن أهلهم و عالمهم و واقعهم.

"و لكن ما جدوى العقل، هنا حيث دفنا، أقصد حيث و ورينا تحت الأرض و ترك لنا ثقب لكفاف تنفسنا لكي نحيا من الوقت، من الليالي ما يكفي للتكفير عن ذنبنا و جعل الموت في بطئه الرشيق موتا متماديا في تأنيه."[3]9

[1] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:29.

[2] صبحية عودة زعرب. غسان كنفاني. جماليات السرد في الخطاب الروائي. ص:42.

[3] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:07.

فالسجن بالنسبة "للبطل المغترب سليم" أو الراوي في الرواية فضاء للموت يحمل عنوان التعذيب و القهر و القسوة و الرفض فهو بعبارة أخرى نفي مستمر للواقع و شعور بالابتعاد.

فالغربة التي عاشها البطل أي غربة الأسر و النفي جعلت من البطل سليم يتجرد من تطلعاته و آماله و أنه منسي تحت الأرض "كنا منسيين تحت الأرض بعيدا كل البعد عن الحياة و عن ذكرياتنا. و برغم الأسوار التي تطوقنا لم تكن الجدران حصينة بما يكفي، فلا شيء يحول دون فوران الذاكرة تجربة مغرية أن تستسلم لحلم يقظة يثري فيه الماضي صورا مجملة في الأغلب ...آه من رائحة القهوة الصباحية و الخبز المحمص آمن من وتر الشراشف الدافئة."[1]

فالبطل "سليم" يعيش غربة مكانية تتمثل في غربة المنزل و الأهل و الرفاق و الأحبة فقد مثل السجن صورة موحشة كان سببا في بعده و غربته عن الواقع كما أننا لا نستطيع أن نقول أن الغربة فقط تنطبق على الإنسان خارج حدود وطنه و مجتمعه لكن هناك غربة داخل الوطن يشعر فيها الإنسان بالبعد و الإقصاء و أنه مرفوض و منبوذ بين شعبه و مجتمعه.

"الاغتراب هو حالة اللاقدرة بمعنى أن الإنسان يعجز عن تحقيق ذاته، و كيما يتمكن العقل من تحقيق ذاته الفضلى، فلابد من تجاوز عجزه بالتغلب على نفسه و بالسيطرة على مخلوقاته."[2]

فكلمة الاغتراب توحي بشعور الفرد (البطل في السجن) باليأس و الخوف و القلق و الاضطراب حيث تم فصله عن محيطه و هذا ما نلحظه في الرواية فالمساجين يشعرون بالغربة داخل وطنهم تمثلت هذه الغربة في السجن الذي سلب منهم حريتهم.

[1] المصدر نفسه، ص:25.

[2] حسين محمد علي. البطل في المسرح الشعري المعاصر. مطابع الأهرام، القاهرة،دط،1991،ص:157.

نجد البطل يفرض على نفسه نسيان الماضي و عدم التذكر لأن الذكريات بالنسبة للبطل تمثل الموت لذا فهو يعيش غربة داخلية نفسية يحاول من خلالها طرد أشباح الذاكرة إذ نراه يقر أنه غير موجود و أنه مجرد من الطفولة و الماضي.

"لم أكن أحلم لا بإطلاق سراحي و لا بما كان سابقا لفترة احتجازي بل كنت أحلم بزمن مثالي بزمن معلق بين أغصان شجرة سماوية بلى أوان الخوف، الطفل هو الذي يستيقظ فينا. أما هنا فالمجنون و العاقل فيّ يخوضان نزاعا مريرا: من منهما سيحملني إلى أبعد ما أستطيع و كنت أراقب مبتسما مطمئنا هذا التجاذب بين طرفين."[1]

في الرواية يعيش البطل "سليم" تجربة مريرة هي تجربة الغربة الداخلية التي يشعر فيها بانفصاله عن ذاته و غربة مكانية تفرض عليه الابتعاد عن منزله و أهله. فالاغتراب يجعل من الفرد عاجز عن تحقيق ذاته يعاني من التشظي و الانفصال و البعد كما أنه "حالة مشينة تضم الكثير من نواحي الحياة بصورة لا إرادية و أحيانا بشكل تعسفي."[2]

فالسجن عالم يقهر فيه السجين و يعرض للتعذيب و التنكيل، هو عالم يشعر فيه السجناء بالغربة و الاغتراب بعيدا عن حياتهم العادية و أحلامهم و آمالهم.

فالاغتراب يعني النفي و الإقصاء و البعد عن الواقع "فالشخصية الاغترابية تتميز بالعديد من المظاهر الداخلية و الخارجية، تتمثل في العجز عن مسايرة الواقع و معاناة الخارج، فضلا عن الشعور الدائم بالاضطهاد و الرفض التام لكل مواصفات السجن مع النمو المتزايد للقطيعة بين مكونات العالم الداخلي للشخصية و بين تلك المكونات الأخرى التي يتم فرضها من خلال شروط الخارج و بما يمليه من مواصفات."[3]

الشخصية المغتربة في الأعمال الروائية تعيش نوعا من الاضطراب و الصراع و الرفض للواقع و للظروف السائدة فيه و هذا ما تجلى في رواية "تلك العتمة الباهرة" حيث

[1] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:26، 27.

[2] صبحية عودة زعرب. غسان كنفاني . جماليات السرد في الخطاب الروائي. ص:42.

[3] محمد كشيك، ملامح البطل المغترب ،مجلة فصول، مج11، ع3، 1992، ص:298.

نلحظ رفض البطل للواقع الذي يعيشون فيه داخل أقبية السجن الذي يوحي بالهدر و الضياع و الزوال.

يعاني المساجين و هم تحت سلطة الرقابة و الاستفزاز و القهر و التعذيب من القلق و الاضطراب النفسي و الغربة و الشعور بالنقص إذ أن الاغتراب هو "وصول المجتمع إلى وضع يفتقر فيه إلى المعايير الاجتماعية المطلوبة لضبط سلوك الأفراد و كذلك الشعور بالعزلة."[1]

فالمساجين و هم داخل أقبية "تازمامارت" يعانون من الانفصال عن المجتمع و كذلك الإحساس بالعزلة و الوحدة و الشعور الدائم بالحنين و الافتقاد و التعاسة بسبب البعد عن المحيط الخارجي.

و تظهر في الرواية معاناة المساجين و شعورهم بالانسلاخ عن المجتمع و العزلة و العجز عن التلاؤم و كذلك الإخفاق في التكيف مع أوضاع السجن حتى إن بعضهم يشعر بعدم الانتماء أو الخروج عن معنى الحياة.

و هذا ما يخلق لدى الأسرى المعتقلين الإحساس بالغربة و العزلة الذاتية داخل زنزانات مظلمة تنعدم فيها الحياة حيث يشعر كل سجين فيها بالاختناق و الضيق و التشظي و البعد و الانفصال عن ذاته و كيانه، إذ أن غربة السجن زعزعت فيه اليقين بالمثالية و القدرة على إدراك الوضع المأساوي الذي أصبحوا فيه.

لذا فالاغتراب الذاتي "وضع يتضمن قمع الفردية و العفوية لدى الفرد مما يجعل الفرد يخسر روح الاطمئنان إلى كل ما يحيط به و يفتقر إلى الأمن النفسي بل صار بين الحيطة و الحذر حتى ينعم بالهدوء و الاستقرار."[2]

عمدت السلطة القمعية المستبدة لإخضاع المساجين لأقسى العقوبات الجسدية المتمثلة في التجويع و الضرب و إلحاق الأذى بهم بالإضافة إلى العقوبات النفسية ، و تمثلت في محاولتهم زرع الخوف و الهلع و الرهبة في نفوس السجناء.

[1] أحمد ميشاوي العدواني، الاغتراب، مجلة الفكر وزارة الإعلام بالكويت، مج10، ع1 ،(أفريل، ماي، جوان)، ص:1.

[2] فيصل عباس. الاغتراب "الإنسان المعاصر و شقاء الوعي". دار المنهل ، بيروت، لبنان، ط1 ،2008، ص:62،61.

د- البطل المتمرد:

لفظة "التمرد" تعني المعارضة و عدم الخضوع لكل المطالب و الأوامر التي تتخذ في حق الإنسان و الشعوب مثلا كأوامر السلطة التي تقدمها في حق المساجين و سن قوانين للتعذيب و الإقصاء و التنكيل و الحرمان من كل الحقوق حتى لو كانت بسيطة، فالسجين حقوق داخل السجن، لكن في الرواية نجد أن البطل يصف عنف التعذيب و وحشية السجانين و الظروف القاسية التي يصطدم السجناء بها داخل سجنهم، هذا ما دفع بهم للرفض و النضال.

إذ "دأب المجتمع العربي منذ وقت طويل على ترسيخ مفهوم الطاعة في الإنسان لاسيما الأسرة و حق طاعة الوالدين، و في القبيلة بالانصياع لشيخها حتى طغى هذا السلوك على جميع أمور حياته و من ثم دفعه إلى الخضوع و الاستسلام."[1]

فالطاعة و الالتزام بالقوانين التي تضعها السلطة و قبول كل مطالبها تقتل في نفس الأفراد الرغبة في التغيير و المواجهة و التحدي إذ أن شيوع الظلم و التسلط و الاستبداد و التعذيب و طمس الحريات يدفع بالشعوب إلى الثورة و التمرد عن النظم السائدة و الجائرة التي تسعى إلى قتل روح الإبداع في نفس الأفراد.

يبدو أن مصطلح "التمرد" لا يمكننا أن نربطه بالبطل لأن البطل "سليم" في الرواية لم يقم بأي فعل يبين لنا أنه متمرد بصورة واضحة فقد سعى جاهدا لنسيان الماضي و محو الذاكرة و ضرورة القبول بالوضع نظرا لطبيعة السجن لأنه لم يكن سجن عادي، فقد كان "تازمامارت" يرمز للموت و الفناء و هذا ما كان واضح في الرواية حيث يصفه البطل بالقبر "أنا لم أكن أكثر تمردا من أي مواطن مغربي مشمئز من الفساد المستشري و أجواء النقمة التي جعلوها لسان حال شعب بأسره غير أني كنت جنديا ضابط صف مسلحا ينفذ الأوامر."[2]

[1] حسن محمد علي.البطل في المسرح الشعري المعاصر. ص:54.

[2] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:105.

البطل "سليم" كان مجرد ضابط مسلح في الجيش لكن لا يملك السلطة التي تمكنه من سن قوانين و فرض أوامر على الضباط و لا التفكير في التمرد الا بوصفه حد أدنى من رفض الواقع.

فقد لجأ "سليم" إلى الصلاة لكي ينسى تلك الظلمة التي يعيشها و ألاّ ينتظر طلوع شمس داخل حفرة لا يفارقها الأسى و الظلم و القهر.

"إني أصلي كثيرا. أصلي إلى الله بغية أن أصرف نفسي عن العالم و لكن كما تعلم العالم يختزل بحفنة ضئيلة جدا من الأشياء لا أناضل ضد العالم بل ضد المشاعر التي ترود جوارنا لكي تجذبنا إلى بئر الكراهية."[1]

ارتباط البطل أكثر بالأمور الروحانية و الصلاة أكثر شيء إذ أنها تدفع به بعيدا عن القنوط و اليأس ، فالبطل يتمرد على ذاكرته و ماضيه و يناضل و يقاوم مشاعره حتى يستطيع العيش داخل تلك الحفرة المظلمة فالحقد بالنسبة له يدفع به نحو الموت.

هنا التمرد يبدو روحي من خلال الوصال مع الله في الصلاة، و ليس تمرد ظاهري جسدي كفعل أو حركة، لكنه نوع من التمرد المحفوف بالذاتية.

"و يعد الطرح الوجودي لمحنة الإنسان العربي الممزق الذي تحالفت عليه الحكومات، و الأعداء و الظروف بهدف النيل منه، من أبرز سمات الرواية العربية التي صورت كيفية تصاعد التحدي و نموه في رحم المأساة في محاولة لترويض اللحظة السياسية المفروضة."[2]

فالعالم العربي تعرض كثيرا للاستبداد و التسلط من قبل السلطات الحاكمة الغربية الاستعمارية حيث عانى الشعب من القتل و التعذيب و القهر و السجن نذكر على سبيل المثال فلسطين الأرض المحتلة التي تعرض شعبها و أدباءها للسجن و الأسر و الاعتقال و المعاناة داخل سجون الاحتلال فقد جردوا من أرضهم و حريتهم، لكن ما نجده في الرواية أن بن جلون طرح قضية الأسر و الاعتقال و السجن و النفي داخل الوطن و من قبل السلطات

[1] المصدر نفسه، ص :103.

[2] صبحية عودة زعرب. غسان كنفاني. جماليات السرد في الخطاب الروائي. ص:48.

الحاكمة و هذا ما جسده في روايته "تلك العتمة الباهرة" التي حملت بين ثناياها معاناة المساجين داخل عتمة "تازمامارت"، فتشييد هذا النوع من السجون (سجن تازمامارت) يوحي بانعدام الرأي و الحرية داخل وطنهم.

"ففي التمرد المستمر و في المعارضة النشطة تتجدد الرؤيا و يعظم دور الإنسان ، و في الرواية يكون التمرد السياسي و الاجتماعي معادلا فنيا للتمرد البطولي."[1]

محاولة الخروج عن النظام السائد الذي يفرض على الأفراد و المبدعين و المثقفين السكوت و أيضا العمل على فضح الأساليب و المعاملات القهرية في حق الشعوب إذ نجد عدد كبير من الروائيين الذين يكتبون عن محنتهم داخل أقبية السجون كما يقومون بتعرية النظام الفاسد الذي يعمل على مصادرة حقوق الأفراد داخل أوطانهم.

و- البطل المقاوم:

نجد في الرواية البطل "سليم" يقاوم الأوضاع المزرية داخل تلك القوقعة التي تسيطر على المساجين عامة و تفرض عليهم حالة من السكون و الرضوخ و الاستسلام للموت و القهر و لتعذيب السجان حيث انسلخ من ذاكرته و ابتعد عن ماضيه.

حاول بن جلون من خلال روايته طرح قضية الحرية ، حيث "تستمد قيمة الكاتب كمّا و كيفا من إيمانه بقضية يدافع عنها، عندئذ تصبح الكتابة نفسها قضية."[2]

و هذا ما نجده في رواية "تلك العتمة الباهرة" للروائي "الطاهر بن جلون" حيث سعى الروائي لفضح هذا النوع من السجون و بشهادة من أحد المعتقلين و هو "عزيز بنبين" حيث كان حاضرا داخل زنزانات "تازمامارت" و عاش تلك المأساة، فالروائي بن جلون حاول تعرية المستور و المسكوت عنه و كشف خبايا النظام محاولا في ذلك طرح قضية و موضوع الحرية.

اعتبر "سليم" الجحيم الذي يعيش فيه داخل السجن هو شيء مفيد لاختبار مقاومتهم و طاقتهم على التحمل و الصبر و التصدي لمأساتهم فقد كان السجناء يعانون من نهارات و

[1] محسن جاسم الموسوي.الرواية العربية "النشأة و التحول". دار الآداب، بيروت، ط2، 1988،ص:145.

[2] صبحية عودة زعرب.غسانكنفاني.جماليات السرد في الخطاب الروائي. ص:51.

ليالي من الأرق و الجوع و المرض، فتظهر شخصيات مساندة للبطل تقوم بمقاومة مأساة السجن منها ، الإضراب عن الأكل و الشرب و السكوت و الصمت داخل الزنزانة و ذلك وقوفا في وجه السجان.

"ذات يوم طلبت من أحد الحراس أن يدعنا نراه و لو هنيهاتطبعا ليس واردا أن يسمح لنا بالخروج من الحفرة بل أن يدعنا نزوره و أن نستعير من الحارس مصباحه الكهربائي لكن كان رفضه مدويا وقاطعا و مصحوبا بالوعيد و الشتائم فأعلناالإضراب."[1]

فالإضراب يمثل ضربا من ضروب الرفض و المقاومة و الوقوف في وجه السجان و السلطة القامعة.

"أضربنا عن الكلام اعتصمنا بصمت مطبق في الحفرة من دون كلمة من دون حركة حتى تنفسنا كان محسوبا لا يصدر عنه صوت."[2]

الصمت و الهدوء داخل الزنزانة يمثل للحراس نوعا من الانزعاج و القلق و الخوف، فالسكوت و الصمت و عدم الحركة يمثل نوعا من المقاومة بالنسبة للسجناء .

لم يجد "البطل سليم" سبيلا آخر للمقاومة غير السكوت و القبول بأوضاع السجن، فلم تكن هناك وسائل أخرى للكتابة مثلا و فضح أساليب السلطة و قمعها و سياسية الاستبداد التي تقوم بها السلطات ، إذ يجد "البطل سليم" و الشخصيات الأخرى سوى الصمود كما يحثهم البطل على ضرورة المقاومة و التصدي و عدم الرضوخ إذ لابد لهم أن يحافظوا على كرامتهم فهذا ما تبقى لهم داخل هذه العتمة القاتلة "الإيمان ليس هو الخوف، الانتحار ليس حلا، المحنة تحد المقاومة واجب و ليست فرضا و الحفاظ على الكرامة هو الشرط المطلق تلك هي المسألة : الكرامة هي ما تبقى لي. هي ماتبقى لنا."[3]

[1] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:51.

[2] المصدرنفسه، ص:52.

[3] المصدر السابق، ص:32.

يتحدث "الراوي سليم" بصيغة الجمع في الرواية مساندا أكثر الشخصيات الأخرى باعتبار أن محنة السجن محنة مشتركة و معاناة و مأساة سيطرت عليهم فوجد في المقاومة السبيل الأوحد للتخفيف من هذه المأساة.

تعتبر الذاكرة بالنسبة للراوي و البطل سليم من الأمور التي لا بد له أن يقاومها و يقف في وجه تجليات الماضي و صوره و أحلامه و آماله و تطلعاته إذ لابد له أن يتجرد من الحقد و الكراهية "لايسعنا أو لا يسعني إلا أن أكون مقاوما... يجب أن أقتنع بذلك: لا مشاعر لا أحقاد لا خصوم إني وحيد"[1].

و هنا حاول البطل أن يرسم شخصية أخرى تخالف و تناقض شخصيته الأولى فيقنع نفسه بضرورة مقاومة الذاكرة و صور الماضي لكي يستطيع أن يحيا داخل هذه الحفرة المظلمة (تازمامارت)، فقد اعتبر "سليم" والدته رمزا للمقاومة و التي ورث منها هذه الصفة كما كانت تمثل بالنسبة له مثالا لابد أن يحتذى به فهي صورة للصبر و القوة و العزيمة إذ تكفلت بتربيتهم و تدريسهم في حين تخلى والده عنهم.

هـ- صورة البطل المجتمع (الذي يمثل صورة شخصية الشعب)

و يقصد به الشخصية المساندة للشعب و الممثلة لآرائهم و أفكارهم و تطلعاتهم و مشاكلهم محاولا في ذلك إيجاد حلول لكل ما يتعرض له الشعب من ظلم.

حيث مثّل "سليم" السجين المثقف الواعي بسيكولوجية القهر التي طبقتها السلطات في حق المساجين كما أنه مثّل الصورة الرمزية للشعب المكبوت المضطهد المقموع الذي يعيش قهرا و ظلما و كبتا دائما فلا أحد يهتم لأسره و لاسيما السجانين الذين يمثلون الوجه القمعي للسلطة في تعاملها مع كل من يخرج عن إرادتها و رغباتها الأحادية.

[1] المصدر نفسه، ص:24.

و في الرواية نجد أن الراوي أو البطل "سليم" يساند الشخصيات الموجودة داخل الزنزانة فقد كان يحكي لهم قصصا و حكايات كان يحفظها، فمثلا "**عبد القادر**" رجل طيب كان مهووسا بقصص و حكايات "سليم" التي كان يرويها على مسامعهم حتى أنه كان يتوسل سليم كي لا يتوقف عن سرد حكاياته لأنها تبعث فيه الأمل و الصبر داخل تلك الزنزانة المظلمة "غالبا ما يتحدث همسا، قال لي، احك لي حكاية و إلا مت"[1].

يمكننا القول أن "البطل السليم" كان راوية السجن تقتصر مهمته على رواية الأحداث التي جرت في السجن و تلك المعاناة التي تعرض لها المساجين كما كان شاهدا على الألم و القهر و الخوف الذي عاشه السجناء فقد كان يروي ما حدث لكل شخصية و ما كابده كل أسير من ضرر و معاناة و غيرها.

فصوت "سليم" مثّل صوت السجناء الذين تغلبت عليهم عتمة السجن و ظلم السجان و وطأة السلطة القامعة فقد كان كل سجين يتعرض داخل زنزانات "تازمامارت" لأبشع صور الوجع و الانسحاق و الإهانة و الظلم و التعذيب، كما أنه مثّل صوت الشعب المكبوت الذي لم يستطع مواجهة السلطة و مقاومتها و رفض أساليبها التعسفية الاستبداديةإذ نجد بن جلون في روايته يسعى لفضح هذه السلطة التي تصادر حقوق الشعب و تكمم أفواههم و تكبت صوتهم كما تحرمهم من الكتابة و الإبداع و محاولتهم لتغيير أوضاع المجتمع.

2- مستويات المكان في رواية "تلك العتمة الباهرة"

تدور كل رواية على سلسلة من الأحداث يؤطرها زمان و مكان باعتبارهما عنصران مهمان في تحديد مسار الحدث الروائي فقد انصب جل اهتمام الكتاب على وصف الأطر المكانية بدقة متناهية باعتبار أن للمكان دور مهم في كشف مميزات و ملامح الشخصية و إبراز خصوصيتها.

[1] المصدر السابق ،ص:85.

و يرى **غاستونباشلار**: "أن العمل الأدبي يفقد خصوصيته و أصالته إذا فقد المكانية"[1]

يساهم المكان في بناء العمل الروائي إذ أنه لا يقل أهمية عن الشخوص و الزمان فله دور كبير في تحريك الشخصيات و الأحداث باعتباره المساحة التي تحرك وعي الكاتب و وجهة نظره، كما أنه الإطار الأساسي الذي تتجسد داخله الصيغة البنائية للعمل الروائي.

"فالمكان في الرواية عاملا فعالا بناءا فيها سواء كان هذا المكان باهتا أم كان واضحا أم عاصفا في حركته، أم ساكنا في ثقله، متدفقا في سيولته أم كثيفا و ضاغطا."[2]

يمكن القول أن المكان يحتل مكانة بارزة في نظر الروائيين و النقاد و غيرهم إذ لا يمكننا أن نتصور عمل روائي يغيب فيه المكان، فبغياب المكان يفقد العمل الأدبي خصوصيته و تميزه و أصالته.

إذ أن المكان "لا يشكل الوعاء الروائي فحسب بل يؤدي دوره في العمل كأي ركن من أركان الرواية و يخطئ من يفترض أنه تكوين جامد أو محايد."[3]

يحظى المكان في الرواية بأهمية عظيمة كونه يساهم في رسم أفعال الشخصيات و كذا تمظهراتها و يساعد على دراسة نفسيتها في العمل الروائي.

و هناك من يرى أن المكان هوية العمل الأدبي الذي إذا افتقد المكانية يفتقد خصوصيته و تاليا أصالته."[4]

يعتبر المكان ركيزة أساسية في العمل الأدبي و ركن لا يمكن للكاتب أن يتخلى عنه أو يتجاهله ، إذ نجد في الرواية تركيز بن جلون على "تازمامارت" المكان المعادي

---

[1] غاستونباشلار .جمالياتالمكان.تر. غالب هلسا. المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط6، 2006،ص:6.

[2] منصور نعمان. نجم الديلمي. المكان في النص المسرحي. دار الكندي للنشر و التوزيع،الأردن ، ط1 ،1999 ،ص:10.

[3] صالح ابراهيم. الفضاء و لغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف.المركز الثقافي العربي،بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص:13.

[4] غاستونباشلار .جمالياتالمكان.تر. غالب هلسا.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط2 ،1984 ،ص:5، 6.

للشخصيات داخل السجن و يكاد يحتل مكانة البطل أي البطل المكان، فتازمامارتالشاهد على ممارسات القمع و الاستبداد في حق السجناء لذا عمد الروائي لتصوير السجن بدقة متناهية كونه يفصح عن خبايا و يكشف لنا سياسة السلطة القمعية.

"تازمامارت" هو مكان حقيقي واقعي ليس من نسج خيال الكاتب شيّد من طرف السلطات المغربية من أجل كل من يحاول الخروج عن قوانينها و نظمها و سياستها . "فالمكان الحقيقي هو الذي يستطيع فيه الإنسان أن يبني ذاته، إذا ما أفتقد ذلك يكون مكانا هشا بلا قيمة."[1]

و هذا ما عانه السجناء داخل أقبية "تازمامارت" الموحشة فقد انسلخت منهم حريتهم و غيبت كرامتهم و حقهم في الحياة إذ أن السلطة عمدت لوضعهم داخل تلك الحفرة المظلمة المعتمة من أجل تخويفهم و زرع الرعب في أنفسهم و أيضا محاولة قتل ذواتهم و تحطيم كينونتهم و وجودهم كأفراد يحق لهم العيش بطمأنينة و حرية و سلام.

نجد أن للمكان مستويات منها **أماكن مغلقة و أخرى مفتوحة.**

و يمكننا أن نشير إلى المكان موضوع البحث هو "السجن" إذ لا بد أن يكون مغلقا، يفرض نوعا من الحصار و الاختناق و الضيق و الظلام حيث يشعر قارئ الرواية أن لا حياة داخل ذلك السجن الموصوف بالقبر أو الحفرة تنعدم فيه حرية السجين كما تنعدم فيه حياته.

و إذا تحدثنا عن "المكان المفتوح" فيمكننا أن نقول: أنه "حيز مكاني خارجي لا تحدده حدود ضيقة يشكل فضاءً رحبا، و غالبا ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق."[2]

و يظهر المكان المفتوح هنا على أنه مكان غير محدود يشعر فيه الإنسان بالحرية عكس السجن الذي يمثل صورة للعذاب و القهر و هذا ما نلاحظه في رواية "تلك العتمة

[1] صبحية عودة زعرب. غسان كنفاني. جماليات السرد في الخطاب الروائي.ص:103.

[2] أوريدةعبود. المكان في القصة القصيرة الثورية "دراسة بنيوية لنفوس ثائرة". دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،دط، 2009، ص:51.

الباهرة" إذ لا نكاد نجد مكانا مفتوحا غير ذلك المكان الذي يدفن فيه السجناء إذ أنهم لم يستطيعوا تحديد المكان بدقة متناهية .

"كانت تلك فرصة سانحة لكي يحاول كلامنا أن يحدد موقع المكان الذي كنا فيه و رحت أفتش عن نقاط اعتلام و كان جناحنا محاط بسور حصين... و ثمة أمر مؤكد : أننا لم نكن على مقربة من البحر حول المعسكر جبال رمادية قاحلة"[1].

يعتبر المساجين المكان الذي يدفن فيه السجناء لحظة وفاتهم هو المكان الوحيد الذي يشعرون فيه بحرية و طمأنينة.

الأماكن المغلقة:

يتميز المكان المغلق بالمحدودية و الضيق إذ يفصل الإنسان عن حريته و عن عالمه و محيطه الخارجي و هذا ما تجلى لنا من خلال دراستنا إذ أن "السجن" عالم ضيق يشعر فيه الفرد بالاختناق و اللاطمأنينة و الكبت .

"إن الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها و نوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس أخر مرتبط بالاتساع و الضيق أو الانفتاح و الانغلاق."[2]

لكن الواضح في الرواية أن بن جلون ركز على المكان المغلق و هو "السجن" باعتبار أن الضيق و التيه و الانفصال سمته الأساسية.

و نذكر الأماكن المغلقة في الرواية منها:

- **الدكان:** الذي يمتلكه والد سليم كان يعمل صائغا ورث هذا المكان عن خاله "كان أبي صائغا في مدينة مراكش ورث ذلك الدكان عن خاله الذي لم يرزق بالأولاد و عامله مثل ابنه."[1]

[1] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة.ص:17، 18 .

[2] حميد لحمداني. بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي).المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص:72.

– **القصر**: قصر الصخيرات و هو المكان الذي أقام فيه الجنود الرتباء انقلاب عسكري و ذلك بهدف قتل الملك و قصر الصخيرات يرمز للسلطة الحاكمة " من منا ما زال يذكر جدران قصر الصخيرات البيض من يذكر الدم على أغطية الموائد و الدم على عشب الحديقة الفاقع."[2]

يعتبر السجن المكان الذي ينقطع فيه الإنسان عن العالم الخارجي يشعر فيه بانعدام الوجود و الكينونة يسام فيه أبشع العقوبات من طرف السلطة و ذلك لسحق نزعة التفكير و الرفض عنده.

و قد صورت الرواية أبشع السجون المغربية و هو سجن "تازمامارت" الذي ينتقل فيه السجين إلى عالم يخلو من أبسط أشكال الحرية تتلاشى داخل هذا المكان إنسانية و حقوق السجين و ذلك تحت وطأة و هيمنة الجلاد و ظلم السلطة الحاكمة.

و يشغل السجن حيزا خطابيا مهما في الرواية يصف من خلاله الروائي أقصى ألوان التعذيب و التنكيل و الألم و الحرمان.

يمثل تازمامارت مقبرة و حفرة معتمة مظلمة حيث يحمل رمز الموت و الفناء و التشظي "تازمامارت، الواقعة بين رشيدية و ريش على خارطة المغرب."[3]

يمكن القول أن رؤية أو تصوير الروائي للسجن عبّر تعبيرا واضحا عن القمع الذي تعرض له السجناء سواء كانوا سياسيون أو سجناء عاديون محاولا في ذلك كشف هذا المكان و كشف تعامل السلطات و ضرورة طمس هذا النوع من النظام و الالتفات إلى حقوق الإنسان و حقوق السجين خاصة و ذلك في ظل نظام حكومات مستبدة تمارس شتى أصناف التعذيب و التسلط على السجين.

---

[1] الطاهر بن جلون . تلك العتمة الباهرة . ص :33.

[2] المصدر نفسه، ص:13.

[3] المصدر السابق، ص:57.

"لذا احتل المكان أهمية بارزة في الأعمال الإبداعية للروائيين و الكتاب خاصة في تشكيل العالم السردي و رسم أبعاده ذلك أن المكان مرآة تنعكس على سطحها صورة الشخصيات و تنكشف من خلالها البعدان النفسي و الاجتماعي."[1]

من خلال المكان نستطيع أن نتعرف على أفعال الشخصيات و سلوكاتها و كذا انفعالاتها و أيضا تقريب الصورة للمتلقي عن هذا النوع من السجون ألا و هو سجن "**تازمامارت**" المغربي الذي يتعرض فيه السجين للقهر و التنكيل.

3- المكان كتجربة معيشة:

يمكننا أن نتحدث عن السجن كمكان و كتجربة عاشها السجناء باعتبار أن الرواية ركزت بصورة جلية على السجن و "تازمامارت" بالتحديد، فقد صور فيه الكاتب حياة السجناء داخل تلك القوقعة التي تعكس حالة من التوتر و الضياع يجسد الموت في أبشع صوره و الخوف من حاضر مجهول يغيب فيه الأمل و الحرية. يشعر السجين و هو في كنف العتمة التي لا تزول داخل الزنزانة بالتيه و الاغتراب عن ذاته و التي "تعتبرمركزالاغتراب إذ ينبثق منها التنافر بين الإنسان و نفسه و بين غيره انسانا و مجتمعا، كونا وطبيعة، فالذات الإنسانية هي مركز للتجاذب النفسي بين الرضا و الرفض بين الحرية و القهر بين المفتوح و المغلق، بين الرجاء و اليأس بين سقوطه و محاولة تجاوز هذا السقوط."[2]

عتمة "تازمامارت" بالنسبة للسجناء عتمة أبدية لا يمكن لهم أن يبصروا بصيص ضوء داخلها، فهذا المكان المظلم أثر على نفسية المساجين فمنهم من انفصل عن ذاته و ماضيه كما نرى عند البطل "سليم" و منهم من انتحر بسبب عدم التوافق أو تقبل هذه الحياة.

---

[1] عبد المنعم زكريا القاضي. البنية السردية في الرواية (دراسة ثلاثية،خيري، شلبي، الأمالي لأبي علي حسن، ولد خالتي) .تر. أحمد ابراهيمالهواري.عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، ط1، 2009، ص:138.

[2] فاطمة الطيب قزيمة،الاغتراب في شعر محمد الشلطامي، المجلة الجامعة، م2، ع17، أغسطس 2015، ص:26.

نجد السجين في "تازمامارت" يعيش حالة من اليأس إذ أنه ينغلق و يحبس داخل سجن آخر و هو سجن الذات و الذاكرة بما تحمله من أفكار و تطلعات، كما أنه يعيش تجربة داخل تلك العتمة تفرض حالة من الحصار و الانعزال عن العالم الخارجي.

يزيد عذاب السجين و معاناته داخل الزنزانة حيث نجد الروائي يصور مدى المعاناة في مختلف ضروبها، فالسجين مجرد من كل حقوقه الإنسانية "لم يكن لدينا أسرّة و لا حتى رقعة من الإسفنج ، بمثابة فراش و لا حتى كومة من القش أو ورق الحلفاء التي تربض عليها البهائم وزعت على كل منا بطانيتان رماديتان طبع عليهما الرقم 1932"[1].

يحمل السجن دلالة مكانية في حد ذاته باعتباره أكثر انغلاقا و ابهاما يشعر فيه السجين أنه معزول بصفة شاملة عن كل ما يمت بصلة للحياة و الحرية.

"يعد هذا المكان من أكثر الأماكن تأثيرا في حياة الإنسان و يبقى مخلدا أو محفورا في ذاكرته فهو الذي يشكل دون أي مكان أخر ذاتيته."[2]

فهذا المكان (السجن) مثّل بالنسبة للسجناء تجربة مأساوية يؤطرها الخوف و السكون و اليأس و الضعف كما كان تعذيب الجلاد أو السجان ركيزة أساسية، و بند من بنود قانون السجن و المنفى، فهذا المكان المظلم رسم في نفسية السجناء اللإستقرارو اللاطمأنينة. فالسجن "يثير في النفس مشاعر الخوف و القلق لما ينطوي عليه من عداء و كراهية، حيث ينتفي الشعور بالأمن و ينعدم الإحساس بالألفة".[3]

و هذا ما تجسد في الرواية حيث انعدم الشعور بالراحة و الحرية داخل أقبية "تازمامارت" و كذلك تعذيب السجان و استفزازه، حيث تتسع الدائرة التشاؤمية و السوداوية في ذات السجناء يستشعرون من خلالها بعمق ألم القيود و ضيق السجن و استطالة فترته إذ أنهم فقدوا الإرادة كليا في الحياة و العجز أمام الواقع الملئ بالأوجاع و المحفوف بالمآسي

[1] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:10.

[2] صبحية عودة زعرب. غسان كنفاني.جماليات السرد في الخطاب الروائي. ص:97.

[3] رائد حميد مجيد البطاط، جدلية الذات و الأخر في شعر السجون العصرين الأموي و العباسي (دراسة نفسية)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية، جامعة البصرة، 1432 هـ-2011م، ص:117.

كما أصبح الموت لدى المساجين رغبتهم الكبرى للتخلص من عذابات النفي و الاعتقال و الإقصاء.

"فبقدر إحساسالإنسان بالمكان تكمن أهمية وجوده و لا نجافي الحقيقة إن قلنا أن المكان يضيق بحياة الإنسان مثل الزمان تماما لأن وجوده في المكان يستمر معه طوال عمره، فلا تكتسب الذات أهميتها إلا من خلال تفاعلها مع المكان الموجود فيه."[1]

و هذا ما نجده في الرواية حيث يشعر السجناء بوحشية المكان (السجن) و يعانون من القهر و التعذيب و التنكيل، و كذلك انعدام الحرية التي تثير معاناة السجين الجسدية و التي يترتب عنها ألام نفسية.

"إنالإنسان متى ما فقد حريته بأي شكل من أشكالها يصبح مغتربا و منكفئا على نفسه و ليس ذلك فحسب بل إن كل الأشياء من حوله تدخل في حيز اغترابه فتصبح مشلولة الحركة."[2]

و هذا ما يظهر في الرواية حيث حاول بن جلون تصوير معاناة السجناء داخل السجن و التي تمثلت في ضيق المكان و عتمته حيث لا يكاد يتعرف أحد المساجين على الآخر.

"فعلينا أن نتخلى عن مساعينا اليومية البسيطة، أن ننساها و أن نقول في سرنا: الحياة أصبحت وراءنا، أو: لقد انتزعنا من الحياة ."[3]

حمل سجن "تازمامارت" تيمة الموت حيث يعكس مختلف ألوان التشيؤ التي لا تعترف بالإنسانية، فالشخصيات المتواجدة داخل السجن تحمل أرقام بدلا من الأسماء فهذه دلالة على أن الإنسان لم يعد يمتلك هوية و لا حق و لا كرامة فهو مجبر على الرضوخ للسلطة و السجان.

[1] صبحية عودة زعرب. غسان كنفاني. جماليات السرد في الخطاب الروائي. ص:95.

[2] فان ليفيان. الحرية و اللاحرية.تر.سمير الشيخ. مطبعة الشرق الجديد، ، بيروت، دط، 2005، ص:162 .

[3] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة.ص:21.

يمكن القول أن السجن يفرض على السجين التجرد و التخلي عن ذاته و ضرورة قبول ذلك الوضع حيث تحمل زنزانات "تازمامارت" أبعاد سياسية و اجتماعية مختلفة و ذلك من أجل فضح و تعرية سياسة القمع و التسلط التي يتعرض لها المعتقلون.

فنجد شخصيات الرواية تعاني من أمراض جراء قلة التغذية و انعدام الأدوية و غيره "السجين عبد الله" رقم 19 توفي "من الإسهال المتواصل و لم يأتي على ذكر ما يعانيه."

و كذلك "فلاح" "الذي أصبح عاجزا عن التبول فتوفي إثر أوجاع لا تحتمل."[1]

و "مصطفى" رقم 08 الذي مات بسبب لدغة عقرب و كذلك السجين موح رقم 01 كان يخاطب والدته. يحدثها وقت تقديم الطعام حتى أنه استسلم للموت بسبب الضغوطات النفسية التي عاشها داخل السجن "عبد القادر رقم 04" توفي عندما توقف "سليم" سرد القصص و الحكايات له، و استسلم للموت و ذلك انتحارا.

"شخصية ماجد رقم 06" حيث قام بشنق نفسه داخل الزنزانة متخيلا شخصية موحا الذي يحاوره .السجين "عبد المالك رقم 05" "يموت مسموما بتناوله الآلاف من بيض الصراصير التي خالطت فتات الخبز الذي كان يحتفظ به في جراب بطانيته الذي خاطه بنفسه."[2]

يمكن القول أن كل هؤلاء السجناء تعرضوا لمعاناة السجن و قهر الجلاد و سوء معاملة السلطة لهم.

و كذلك "عيشو السجين رقم 17" يموت "جراء السعال حتى الاختناق."[3]

و كذلك "العربي رقم 04" يدعو الموت إلى الحضور بعدما أخطأه مرارا و أبطأ عليه، لأن فيه خلاصه، فنقرأ أنينه الخافت يهذي به فيقول : "أريد أن أموت"[4].

---

[1] المصدرنفسه، ص:183.

[2] المصدرالسابق، ص:161.

[3] المصدر نفسه، ص:191.

[4] المصدر نفسه، ص:47.

من خلال هذه الشخصيات يمكننا أن نلحظ أن الروائي تعمد وضع هذه الشخصيات التي تتعرض يوميا و عبر سنوات لأمراض و أوجاع بالإضافة إلى القمع و الظلم و الاستفزاز و التي سعت السلطات الحاكمة جاهدة كي تطبقها على أجساد مساجين وضعوا عمدا في سجن تازمامارت. فلم يبقى في هذه الحفرة القاتلة سوى عدد قليل من السجناء.

رغم معاناة المساجين داخل زنزانات السجن و قسوة السجان إلا أن "البطل و الراوي سليم" و من معه من أفراد داخل السجن يحاولون التخلص من رتابة المكان و ذلك عن طريق لعب "الورق" حيث كانت هذه الأوراق وهمية من نسج خيالهم وذلك سعيا وراء نسيان تلك المأساة ،لذا أصبحت غربتهم و معاناتهم و مأساتهم واحدة و مشتركة إذ أن "وجود السجناء في مكان واحد و تحت قيد واحد يضفي عليهم علاقة ترابطية قوية تربطهم جميعا فهم يشتركون في العذاب و المعاناة و الألم لذا فإن معاناتهم هذه هي التي وحدتهم و جعلتهم يشعرون بأحاسيس و مشاعر واحدة أو متقاربة على العموم."[1] و هذا ما تجلى في الرواية حيث نجد انسجام و ترابط كبير بين السجناء.

كما نجد في الرواية السجناء يتشاركون داخل الزنزانة مشاكلهم وآلامهم لذا وظف بن جلون "سليم" راوية السجن من أجل نقل الصورة المأساوية لسجناء "تازمامارت" و أيضا الصورة الاستنكارية التي نقلها "البطل سليم" عن السلطة الحاكمة و فضح سياسة القمع و القيد و الإخضاع في حق المساجين.

"فالعنف الذي يتميز بفعله الأدواتي لا يعتمد العدد و الكثرة بقدر اعتماده أدوات القمع المتعددة و المتقدمة التي من الممكن أن تستخدمها الحكومات كما المناهضين لها، حيث يمكنك توسيع استخدام أدوات العنف للمعارضين للسلطة."[2]

[1] رائد حميد مجيد البطاط، جدلية الذات و الأخر في شعر السجون العصرين الأموي و العباسي (دراسة نفسية)، ص:139.

[2] حنة أرندت. في العنف.تر. ابراهيم العريس. دار الساقي، بيروت، لبنان، دط، 2015، ص:12.

و هذا ما حققته أو ما طبقته السلطات المغربية في حق كل من يخالف القوانين و يعارض أوامرها و قوانينها، فهذا النوع من السجون يشكل وجه من وجوه نظام الحكم الفاسد الاستبدادي التعسفي في حق الشعوب و المجتمعات المغربية.

سجن تازمامارتمثّل مكانا معادي بالنسبة للسجناء داخل الزنزانة ، فتلك العتمة الطاغية التي يصفها الراوي سليم بالأبدية تتسرب منها رائحة الموت و الضعف و الوهن و المرض و الكآبة إذ نجد السجين يعاني أوجاع خارجية كما يعاني آلام داخلية أي نفسية تجلت في القلق و الكآبة و الضيق.

"كان العفن ينال من أجسادنا عضوا تلو الأخر"[1]

تعتبر تجربة السجن تجربة قاسية بالنسبة للسجناء حيث تتم عملية تحنيط الإنسان داخل تلك الزنزانة المظلمة كما يتعرض لمختلف مراحل التعذيب الجسدية و النفسية الخانقة فتلجأ السلطة في ذلك إلى ممارسة طقوس التحكم المطلق على السجين فيكون مجبرا على السكوت و الخضوع.

كما أن الزنزانة مثلت مكانا للتعذيب يشعر فيها السجين بالوحدة و الفردانية و العزلة بعيدا عن المحيط الخارجي فنجد الروائي يصور غربة السجن و وحشيته و ذلك على لسان الراوي سليم بطريقة فنية "لكن أين كنا؟ كنا بلغنا المكان من دون أبصارنا. أكان الليل؟ الأرجح أنه كان. فالليل سيكون صحبتناو مرتعنا و عالمنا ومقبرتنا"[2].

الزنزانة تملأها الظلمة و العتمة ، إذ لم يكن المساجين يعلمون الوقت و لا الشهر فقد كانوا يحتضرون داخل تلك الحفرة لا يكادون يبصرون شيئا غير العتمة الحالكة .

[1] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:125.

[2] المصدرالسابق، ص:08.

"كان الليل كسوتنا، و ربما قيل في عالم آخر إنه كان يحيطنا برعايته لا أثر لنور، لا أثر لبصيص ضياء. لكن أعينا وإن فقدت البصر اعتادته،كنا نبصر في الظلمات ، أو نظن أننا نبصر."[1]

تظهر خلفية التعذيب و القهر و الاستبداد الذي يعيشه السجين في سجن "تازمامارت" إذ تعمدت السلطة وضع المساجين داخل هذا المكان الخالي من كل إنسانية، يسام فيه السجناء –بصفة عامة– أقصى أنواع التعذيب، فقد مثلت العتمة عنوانه و مساحاته قبرا لإنسان حي.

يقدم لنا الروائي من خلال الرواية صورة أخرى للجلاد الذي يتعمد إلحاق الأذى بطرق مختلفة بالسجناء داخل السجن و ذلك وفقا لقرارات من طرف السلطة الحاكمة حيث برزت معاملات الحراس للسجناء و ذلك من خلال الاستفزاز و الإهانة و التنكيل.

فنجد مفاضل : الضابط اللئيم الذي طلب من حراس السجن إحضار أو إدخال العقارب داخل الزنزانات .

"في كنف العتمة حيث كنا نحيا، لم يكن بوسعنا أن نراها ظهرت للمرة الأولى في ذلك الصيف لم تأت من تلقائها أو بمحض المصادفة، فالضابط هو الذي أطلقها في الحفرة."[2]

تظهر هنا فكرة العقارب أنها مؤامرة من طرف السلطة و حراس السجن للتخلص من المساجين بسرعة.

يمكن القول أن سجن "تازمامارت" فضاء واسع للتعذيب و القتل و النفي و التنكيل و الأسر بأبشع صوره فالسجين داخل هذا السجن حقل لتجارب السلطة و تطرفها المطلق حيث تعمد من خلال ذلك إلى تحقير السجين معنويا و جسديا.

[1] المصدرنفسه، ص:08.

[2] المصدر السابق، ص:45.

و هذا ما نلحظه من خلال نماذج من الرواية حيث يحرم السجين من حقوقه البسيطة و اليومية و ذلك مثل نظافة الأكل و المكان فلم يمتلك السجناء أغطية للنوم داخل تلك الحفرة الضيقة "لم يكن لدينا أسرّة و لا حتى رقعة من الإسفنج بمثابة فراش و لا حتى كومة من القش أوراق الحلفاء التي تربض عليها البهائم.".[1]لقد خصص الروائي الطاهر بن جلون روايته هذه لفضح الأساليب القمعية التي تقوم بها السلطة و ذلك في حق الشعوب، فاضحا أهم طرقهم في التعذيب منها سجن "تازمامارت" كأفضع السجون و أقساهاتعذيبا وقهرا للسجين حيث مثّل صورة واضحة عن غياب حق السجين إذ يستعبد فيها الأسرى و يتعرضون للعدوانية.

4- المكان المعادي (السجن):

تعكس الرواية المشاهداللإنسانيةالتي تواجه الفرد و سطوة الجلادين داخل السجون منها سجن "تازمامارت" ، و الذي يظهر في الرواية كفضاء معاد أو مضاد لحرية الإنسانإذ يمثل السجن أخطر أدوات السلطة لسحق نزعة التفكير و المقاومة و الرفض و زرع الخوف و الرهبة في نفوس الشعوب.

يمكننا أن ندرج الحديث عن المكان المعادي في الرواية و هو "تازمامارت" حيث مثّل بالنسبة للسجناء حفرة وضعوا فيها لتعذيبهموخنق حرياتهم و حقوقهم.

"و استحال الموت شعاع شمس بهيا من المؤكد أنهم ألقوا بنا هناك لكي نموت."[2]

أكثر ما ميز رواية "تلك العتمة الباهرة" نزوع الروائي إلى تعرية الحكم الفاسد و السلطة و ذلك بلغة تفصيلية إيحائية تكشف سجون التعذيب و التنكيل و مصادرة حقوق الأفراد، فقد عكست الرواية شهادة المساجين و ذلك بتصوير واقعهم داخل تلك الأقبية.

حيث يبدع الروائي في تقديم صورة وصفية بطريقة إبداعية معاناة السجناء و ذلك في شكل لوحات ناطقة لتمكن القارئ من تشكيل صورة عن سجن تازمامارت.

---

[1] المصدر نفسه، ص:10.

[2] المصدر السابق، ص:18.

"و يتضح معنى المكان من عنوانه فهو الذي تتمحور حوله الأماكن الآتية: السجن – الطبيعة الخالية من البشر –مكان الغربة –المنفى و ما شابه ذلك."[1]

و هذا ما تجلى لنا من خلال الدراسة أن "السجن" يمثل مكان معادي للأفراد ينفي وجودهم و حريتهم.

"حيث يتخذ هذا المكان صفة المجتمع الأبوي بهرميته السلطة في داخله و عنفه الموجه لكل من يخالف التعليمات و تعسفه الذي يبدو و كأنه ذو طابع قدري."[2]

شكّل "تازمامارت" المكان المفتوح لكل صنوف المعاناة القاسية إذ مارس على الذات فعله العدائي عن طريق ضغوطه و وسائله التعذيبيةفكان تأثيره قويا مباشرا على جسد السجين منها تعرضه للضرب و التعذيب و منه ما كان تأثيره جليا على نفسية السجين منها الخوف و التيه...

لذا فالسجن يمثل "المكان الذي يقف للإنسان بالمرصاد لمواجهة إنسانيته و قد شبه بالمجتمع الأبوي، نقيض الأمومي لدلالته على السلطة و التحكم و القسوة."[3]

فالسجن يدل على الانغلاق و الضيق و العتمة حيث يعود على نفسية السجين بالقلق و الاضطراب و اليأس .

كما لا يمكننا أن ننسى أو نغفل دور السجان الذي يؤدي دور السلطة التنفيذية حيث يمارس أقسى أنواع العذاب على السجين فهو "ممثل السلطة في السجن و علاقته مباشرة بالسجين و يبدو أنه كان له هيمنة مرعبة على المحبوس."[4]

فالعلاقة التي كانت تربط السجناء و السجان متمحورة على العداءو البغض و الخوف و الحقد و الكراهية .

---

[1] صبحية عودة زعرب. غسان كنفان. جماليات السرد في الخطاب الروائي. ص:98.

[2] محمد برادة و آخرون. الرواية العربية واقع و آفاق. دار بن رشد، بيروت، دط، 1981، ص :224.

[3] صبحية عودة زعرب. غسان كنفاني. جماليات السرد في الخطاب الروائي. ص:98، 99.

[4] واضح الصمد. السجون وأثرها في الآداب العربية. ص:222.

كما نجد السجان في الرواية يطلق العنان لسيطرته و جبروته و هيمنته من أجل إثبات ذاته من خلال فرض "سيطرته على الآخر و حط من شأنه من أجل إعلاء شأن الذات بواسطة العنف."[1]

فعدوانية السجان و قهره للسجين تبعث في نفسيته (السجان) الشعور بالمتعة و الراحة و ذلك لعدم قدرة السجين على الدفاع عن نفسه فهو مجبر على الرضوخ و الاستسلام و القبول بهذا العقاب و هذا ما نجده واضحا في الرواية حيث يتعرض سجناء "تازمامارت" للتعذيب و القهر و التنكيل و غيره.

"في الواقع، كان القبر زنزانة يبلغ طولها ثلاثة أمتار و عرضها مترا و نصف المتر، أما سقفها فوطئ جدا يتراوح ارتفاعه بين مئة و خمسين و مئة و ستين سنتمترا و لم يكن بإمكاني أن أقف فيها، حفرة التبول و التبرز حفرة قطرها عشرة سنتمترات، كانت جزءا من أجسادنا و الأفضل أن نسارع إلى نسيان وجودها."[2]

فهذا المكان الضيق المظلم و الوحشي يحمل أشخاصا انتزعت منهم أسماؤهم و وضعوا لهم أرقاما بدلا من مناداتهم بالاسم و هذا نوع من شرخ للكينونة البشرية و تشظي الهوية فلم يعد لهم وجود بالنسبة للسلطة و هذا ما كان بارزا في الرواية .

"في الجناح (ب) كنا ثلاثة و عشرين نفرا كل نفر منا في زنزانة إلى الثقب المحفور في الأرضية لقضاء الحاجة كان هناك ثقب أخر فوق باب الحديد لإدخال الهواء ما عادت لنا أسماء ما عاد لنا ماض أو مستقبل فقد جردنا من كل شيء ."[3]

فهذا دليل على أن سجن "تازمامارت" هو قبر كما وصفه سليم وصفا دقيقا تنعدم فيه الحياة، فتازمامارتبالنسبة للبطل و بقية المساجين يحمل سمة الموت و الإعدام و التعذيب،

[1] مصطفى حجازي.الإنسان المهدور. المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر، المغرب،ط1،2005، ص:155.
[2] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:09.
[3] المصدر نفسه، ص :15.

فلم يكن داخل تلك الزنزانة مجال لرؤية النور أو الضوء ، مما أدى إلى تلف أجسام المساجين و تعرضهم لأمراض جسدية و نفسية مختلفة .

"النور، ماهو!مكان النظام كله قائما على السواد، على تلك العتمة الحالكة تلك الظلمات التي تنمي الخوف من اللامرئي، الخوف من المجهول كان الموت محتوما في الأرجاء كان هناك و لكن ينبغي ألا نعرف من أين سيضرب ضربته."[1]

يظهر من خلال السياق أن النظام السائد كان مبنيا على السواد و ظلم السلطات و قمعهم للشعوب و يمكن القول أن الموت مثّل الخلاص من التعذيب و العتمة بالنسبة للسجناء التي سيطرت عليهم.

لذا نجد حضور قوي للفظة الموت و ذلك في صياغة فنية جماليةإبداعية "و استحال الموت شعاع شمس بهيا."[2]

يسعى الروائي لفضح سجن "تازمامارت" و ذلك لتقديم صورة واضحة للقارئ عن سرية هذا المكان و كشف النقاب عن أبرز صور الاستبداد التي يتعرض لها السجين فقد حمّل الروائي سجن "تازمامارت" دلالات مختلفة مستغلا كل إمكانياته ليعكس لنا ألوان القمع و التشيؤ و التنكيل و الانعزال بعيدا عن العالم الخارجي و عن الحياة العادية.

كما تظهر شخصيات في الرواية تتحلى بالصبر و المقاومة لمحنة السجن و تعذيب السجان و كذلك الصبر على الذل و الاستفزاز و هو لاشك "صبر المستيئس الذي لم يترك له العقاب قبسا من رجاء، فأشرف على النهاية البائسة، فاستسلم للتأسي و التصبرفرارا من الانهيار."[3] و هذا ما تجسد في رواية "تلك العتمة الباهرة" حيث نلحظ أن شخصية "غربي" – "سليم" و واكرين و غيرهم كانوا أكثر صبرا و أكثر مقاومة لبشاعة و فضاعة السجن و

[1] المصدر نفسه، ص:55.

[2] المصدر السابق، ص:18.

[3] أحمد مختار البزرة. الأسر و السجن في شعر العرب (تاريخ و دراسة). ص:480.

تعذيبه و ظلمته التي تأسر و تحبس الأنفاس في مقابل السجناء الذين لم يتحملوا وحشية السجن و معاناته فكانوا عرضة للموت و الانتحار منهم عبد القادر –رشدي و غيرهم.

يعتبر السجن بمدلولاته المختلفة فضاء معادي لحرية الفرد ينعزل فيها بعيدا عن العالم و المحيط الخارجي و تنقطع الصلة بينه و بين مجتمعه كما يمثل نقطة انتقال السجين من عالم الحرية الذاتية إلى عالم أخر تغيب فيه هذه الحرية فيكون بذلك إنسان تحكمه التزامات و محظورات مجبر على الخضوع لهيمنة السلطة و قوانينها و التي تعتبر السجن على أنه بنية مغلقة يعاقب فيها كل من حاول خرق القانون و التعدي على السلطة الحاكمة حيث "يرتكز دوره المفترض، أو المطلوب كجهاز لتغيير الأفراد."[1]

و في ظل هذا التغيير يتعرض الفرد لمختلف أنواع القهر و القمع و الاستلاب و التعذيب.

تمثل "رواية تلك العتمة الباهرة" شهادة حية تفضح همجية السلطة و هيمنتها حيث صورت عبر صفحاتها كل أنواع العذاب في حق المعتقلين، و سجلت لحظات غرائبية عاشها سجناء في "سجن تازمامارت المغربي" و خلف قضبانه المظلمة اتّخذ بن جلون من معاناة السجين و ألم القسوة التي تعرض لها متنا روائيا حاول من خلاله فضح هذا النوع من السجون و الحد من تعريض حياة السجناء لهذا النوع من قسوة السجان و تهميشه .

"من بين الحراس الثمانية كان اثنان هما الأشد قسوة و سوءا. فنطس الرجل ذو الأسنان الذهب النحيل كان يبصق دائما و يبدي لؤما شديدا عندما ينطق لا يستخدم سوى العبارات البذيئة و الشتائم."[2] تقتصر مهمة السجان داخل السجن على تعذيب المساجين و اخافتهم و الحاق الأذى النفسي بهم." كنا نمتلك في ذلك الجحيم النهارات و الليالي .كانت نهارات جوع و ليالي أرق و في الأغلب لم تكن شيئا آخر"[3]

[1] ميشال فوكو. المراقبة و المعاقبة ولادة السجن.تر. علي مقلد. مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان ،دط، دت، ص:236.

[2] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:58.

[3] المصدر نفسه ،ص:60.

يظهر بيت القوة أو السجن كما يسميه ميشال فوكو على أنه جهاز انضباطي شامل يخضع فيه السجين لتقويم جسدي و سلوك يتطلب الانضباط و عدم الخروج عن القانون أو التمرد على السجان إذ أن السجن "يمارس سلطة شبه كاملة على الموقوفين، و له أولياته الداخلية للقمع و القصاص: انضباط استبدادي."[1]

يجرد السجين من كل حقوقه و مطالبه داخل السجن حيث تتحكم السلطة في حرية الفرد و تحدد سلوكاته و مواقفه، لذا كان النظام السائد في "تازمامارت" نظام جائر قمعي لا يمتلك السجين فيه أي حق حتى في الدفاع عن نفسه أو حق في الرفض و التمرد.

"في المرة المقبلة التي تعلنون فيها إضرابا، سوف أطلق العقارب عندئذ سنرى من منا أنتم أم أنا، هو الجني حقا."[2]

يظهر من خلال السياق عدائية السجان و جبروته و ممارسته لأبشع العقوبات في حق المساجين.

السجن "مكان تنفيذ العقوبة"[3] و سن قوانين في حق المجرمين و لكن وفق قوانين و أطر تحمي السجين و تضمن له بقاءه و حياته داخل الزنزانة.

لكن الملاحظ في سجن "تازمامارت" أنه ليس سجنا إصلاحيا بل سجن قمعي يقوم على مبدأ التعذيب و القهر و تعريض المساجين لأبشع العقوبات و أفضعها منها حرمانهم من أبسط الحريات، فلم يعد لهم داخل تلك العتمة أي أمل في الحياة أو البقاء حيث انفصل كل سجين عن ماضيه و أحلامه و مشاعره و تطلعاته.

" و علمت أن بإمكاننا اعتياد كل شيء حتى العيش بلا وجه بلا جنس، بلا أمل."[4]

[1] ميشال فوكو.المراقبة و المعاقبة ولادة السجن. ص: 239.

[2] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:53.

[3] ميشال فوكو. المراقبة و المعاقبة ولادة السجن. ص:248.

[4] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة.ص: 193.

يمكن القول أن السجن مثّل المكان أو الفضاء الذي يشعر فيه الفرد بالخوف و الاكتئاب و القلق و الانفصال عن الذات و الرغبات و الآمال فقد سعت السلطة إلى استعمال كل الطرق لزرع الرعب و الخوف في نفس السجين داخل السجن "خلال الأشهر التي قضيناها في الأقبية نكابد كل صنوف التعذيب فقد بعضنا الحياة فيما آخرون مثل "حميد" فقدوا عقولهم."[1]

حرم المساجين داخل زنزانات "تازمامارت" من النور فقد كانت الزنزانة مظلمة توحي بالموت و الفناء فقد استغنى السجناء حالة دفن الموتى كفرصة يتمكنوا من خلالها من رؤية الخارج و التخلص من ضيق الزنزانة و عتمتها.

"طوال ساعة أو أقل، أبقيت عيني مفتوحتين، و فمي فاغرا لكي أتجرع ما أمكن من الضوء، لكي أكتشف الضياء و أختزله في داخلي، و أحفظه ملاذا لي فأستذكره كلما أطبقت العتمة ثقيلة فوق جفني و أبقيت جذعي عاريا لكي يتشبع جلدي بالضوء."[2]

كما برزت أيضا في الرواية قسوة السجان أو حراس السجن و معاملتهم السيئة في حق المساجين و هذا ما سعى الروائي لتصويره بشكل مميز يدفع القارئ إلى الدفاع عنهم و أيضا ضرورة الوقوف في وجه السلطة و كشف ما حجب من نظامهم المبني على السلب و النهب و التعدي على حقوق المساجين داخل السجن.

"بينما كنت مستغرقا في أحلام يقظتي فتح حارسان باب زنزانتي و اندفعا نحوي و ما لبثا أن أدخلاني في جراب واسع و راحا يجرجران الجراب باتجاه الباب الخارجي كنت أركل الهواء برجلي و تكتم صراخي التعليقات التي كانا يتبادلانها: أما هذا فسندفنه حيا فقد يلقنكم هذا حسن السلوك."[3]

[1] المصدر نفسه،ص:16.

[2] المصدر السابق ،ص:18.

[3] المصدرنفسه ، ص :22، 23.

يمكن القول أن الروايات السجنية صورة حية عن واقع مرير عاشه سجناء داخل أقبية مظلمة يسامون فيها أبشع العقوبات، هذه السجون شيّدت لطمس الحريات و كبت الأنفاس و مصادرة الحقوق، لذا فقد سعت الرواية السجينة و بالأخص "**تلك العتمة الباهرة**" للروائي الطاهر بن جلون لكشف و فضح و تعرية الأنظمة القائمة على الاستفزاز و القتل و التجويع و التنكيل، و أيضا محاولة التخلص من سوداوية هذا النظام و قمع السلطة التي تسعى إلى كتم و كبت صوت المثقف و قتل روح المقاومة و النضال فيه.

5- غربة السجن و تأثيره على نفسية البطل:

يعتبر السجن بالنسبة للسجين مكان للقهر و العذاب يترقب فيه السجين التحرر من هذا المكان المظلم و كذلك من قيود السلطة و من وحشية السجان، فالسجين في نظر السلطة إنسان بلا فائدة لا يستحق الحياة و بذلك يزرع في نفسيته القلق و الاضطراب و الشعور بالعدم و الانطواء .

يجعل السجن الإنسان يشعر أو يتحسس الحرية لأن السجن مكان ضيق محدود تغيب فيه الإنسانية و تهيمن عليه أحكام تعسفية في حق المساجين فهذا الحيز المغلق يفرض على السجين الانطواء على ذاته كما أنه ينزوي داخل ركن من زنزانته المظلمة يترصد فيها مشاعر و أحاسيس الماضي كما يشعر بالغربة بعيدا عن مجتمعه و حياته العادية.

و قد تجلت هذه الغربة في غياب الحرية و البعد عن الأهل و الأحبة و هذا داخل الوطن أي أن البطل يعيش غربة داخل وطنه و هي غربة السجن و الأسر و الاعتقال و ما خلفته في نفسية البطل من شعور ذاتي كان له انعكاسا في ظهور حالات القلق و اليأس المتعددة.

"كنت أظن أن تلك الرحلة إلى المجهول هي رحلة موتنا و الغريب أن ذلك ما كان يخيفني."[1]

[1] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص:30.

فالسجن كان يمثل هاجسا بالنسبة للمساجين يشعرونفيه بانعدام الحياة.

"إن استكناه النص يكشف لنا عن عملية تأطير صورة السجن بالقبر قصدت من خلالها الذات الإبلاغ عن تراجيديا هذا المكان و طغيانه و من ثم استلابه لها. فكان إحساس الذات بغربتها و في هذا التشكيل متأتية من صورة هذا النسق المكاني المفعم بالملل، و اللاحرية و العبودية و الانقطاع التام عن العالم الخارجي."[1]

فالسجن بكل ما يحمله من معاني الانكسار و البعد و الانفصال و الشعور بالتيه و الألم يدل دلالة قطعية على الموت حيث يفقد السجين توازنه و أيضا يرسخ في نفسيته فكرة تعطيل إرادة الذات و تقديرها و كذلك الإحساس بالتدهور النفسي و الشعور بالانعدام و الخضوع لرغبة السجان و السلطة.

نجد في الرواية البطل "سليم" يتخلص من فكرة الأمل و يعمل جاهدا على تحقيق ذلك "لقد أدركت على الفور أنه لم يعد لنا أي خيار أخر فعلينا أن نتخلى عن مساعينا اليومية البسيطة أن ننساها."[2]

يعتبر السجن فضاء كفيل بتردي الحالة النفسية للسجناء جراء الانطواء داخل تلك الزنزانات المظلمة، فيترتب عن هذا الانفراد و الانزواء حالات نفسية تجعل السجين مضطربا تتغلب عليه الكآبة و اليأس و القلق.

"منذ ليلة العاشر من تموز 1971 توقفت سنوات عمري لم أتقدم في السن و لم أجدد صباي من يومها فقدت سني، فلم يعد باديا على محياي و الواقع أني ما عدت هناك لكي أمنح عمري وجها إذ وقفت ناحية العدم هناك حيث لا وجود للزمن متروكا للريح."[3]

"فالبطل سليم" قد تخلص من كل الذكريات التي تسبب له الشعور بالشوق و الحنين و الفقد، فهذه المشاعر تزرع فيه الرغبة في الانتحار و الموت لذا سعى جاهدا للتخلص من

[1] مجموعة من الباحثين .جماليات المكان. مطبعة دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988، ص:75.

[2] الطاهر بن جلون. تلك العتمة الباهرة . ص:21.

[3] المصدر نفسه، ص: 12.

هذه الذكريات و أن يتقبل حياته بعيدا عن المجتمع في مكان تنعدم فيه الحرية و الحياة، كما يرى "سليم" أن التذكر يمثل الموت و الشعور بالغربة داخل الوطن و هي غربة النفي و الأسر و السجن و الإقصاء التام للفرد فلم يعد له حق في الحياة "التذكر هو الموت لقد استغرقني بعض الوقت كيما أدرك أن التذكر هو العدو فمن يستدع ذكرياته يمت توا – بعدها– كأنه يبتلع قرص السم."[1]

فقد تجرد "سليم" من ذكرياته التي تبث فيه الأمل و أيضا من الحقد الذي يتسبب له بالموت و الجنون و القهر، فالسجن يؤثر على نفسية السجين فيجعله يشعر بغربة ذاتية داخلية، فقد حمّل بن جلون زنزانات "تازمامارت" أبعادا اجتماعية و سياسية حيث انعكست على حياة السجناء عامة و البطل سليم خاصة .

فالسجن بمدلولاته المختلفة "يثير في النفس مشاعر الخوف و القلق لما ينطوي عليه من عداء و كراهية حيث ينتفي الشعور بالأمن و ينعدم الإحساس بالألفة."[2]

و هذا ما كان جليا واضحا في رواية "تلك العتمة الباهرة" إذ أبدت شخصيات الرواية عدائها و حقدها و كرهها للسجن و السجان على عكس "البطل سليم" الذي كان متسامحا مع نفسه مؤكدا على ضرورة التخلي عن مشاعر الحقد و الكراهية التي تتسبب في موت الإنسان و فناءه.

"إلى جانب أخر كشف لنا نصوص السجن عن أجواء السجن الغريبة و دنياه المبهمة و مشاعر ساكنيه المهولة و تصوراتهم السوداوية فبدا نسقا مكانيا غريبا و يثير الغربة في الوقت نفسه، جاعلا من السجين منزويا بين آلام الجسد و النفس، ما بين واقع الحبس و ارتدادات الشعور."[3]

و يظهر هذا من خلال الرواية إذ نجد الشخصيات التي وضعها بن جلون تعاني و تصارع الموت في كل دقيقة و في كل ثانية إذ حرموا من حقهم حتى في نظافة المكان.

---

[1] المصدر نفسه، ص: 25.

[2] رائد حميد مجيد البطاط، جدلية الذات و الأخر في شعر السجون العصرين الأموي و العباسي (دراسة نفسية)، ص: 117.

[3] أحمد مختار البزرة. الأسر و السجن في شعر العرب.ص:653.

سعى البطل "سليم" للتخلص من مشاعر الحقد و الكراهية و ذلك كي يستطيع العيش داخل تلك الحفرة كما كان يسميها متصالحا مع نفسه فقد كان الحقد بمثابة نزعة مدمرة لكيان الفرد تجعله ينفصل عن ذاته "أرفض الرد على الحقد بالحقد."[1]

تتأرجح الحالة النفسية "للبطل سليم" في الرواية و تضطرب بين اليأس و القنوط تارة و بين الأمل تارة أخرى فرغم محاولات سليم المتكررة للانفصال عن ذاته و ذكرياته و إقصاء الماضي، إلا أنه كان ضعيفا أمام أمل يتحسسه .

"ربما انتقلت إلي عدوى الأمل الذي يرود بجوار واكرين و بعض الآخرين؟ ذاك أني للمرة الأولى رحت أتخيل لحظة إطلاق سراحي و للمرة الأولى عاودت التفكير في الشمس، و تراءت لي مجددا أنوار طفولتي و الذكريات التي قطعت صلتي بها، انبثقت مجددا."[2]

يصف الروائي بدقة فائقة سجن "تازمامارت" كما وصف لنا ما كان يحف المعتقلين من قلق و اضطراب و خوف من مصيرهم المجهول داخل زنزانات مظلمة تنعدم فيها حرياتهم يتعرضون بين الفينة و الأخرى لتعذيب السجان و قمعه، فالتعذيب يمثل عامل أساسي في تدهور الحالة النفسية للبطل (سليم) و للسجناء عامة و هذا ما سعى بن جلون لإبرازه في الرواية حيث نلحظ أن سيطرة السلطة و هيمنتها على المواطنين و استعمال مختلف وسائل الترهيب و التعذيب من بينها تشييد هذا النوع من السجون و هو سجن "تازمامارت" المغربي كمكان للقمع و القهر و إسكات أي صوت معارض لسياستها (السلطة)

"أفرد بن جلون رواية كاملة خصها بكشف المعاناة النفسية للمساجين و هي رواية تلك العتمة الباهرة،والتي خصها بمعتقل "تازمامارت" أحد أخطر و أبشع مراكز الحبس و التنكيل و الإبادة البطيئة و الحتمية للنوع البشري في تاريخ المغرب المعاصر."[3]

---

[1] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة.ص:25.

[2] المصدر السابق، ص :176.

[3] يحي العبد الله . الاغتراب "دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية". المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1 ،2005، ص :175.

"تازمامارت" يحمل سمة القهر و التعذيب و كأن هذا المكان خصص لقمع الأفراد و تعذيبهم حد الموت. فهو "عبارة عن الثكنة الرهيبة في أقصى الجنوب المغربي شرقا حيث تم حبس ثمانية و خمسين من العسكريين ابتداءً من شهر أغسطس (آب) 1973 فقد صدرت في حقهم أحكام متفاوتة لمشاركتهم في المحاولة الانقلابية التي كان مسرحها الرئيسي قصر الصخيرات الصيفي في أغسطس (آب) 1971."[1]

يصف لنا بن جلون على لسان الراوي سليم "تازمامارت" البطل المكان حيث انصب جل اهتمام الكاتب على نقل صورة حية موثقة عن هذا النوع من السجون و مأساته و وحشيته و فضاعته.

6- مستويات الزمان في رواية "تلك العتمة الباهرة":

يعد الزمن أحد أهم العناصر التي يرتكز عليها العمل الأدبي "فعنصر الزمن ضروري في السرد، فمن المعتذر أن نحصل على سرد خال من الزمن و إذا جاز لنا افتراضا أن نفكر في زمن خال من السرد فلا يمكن أن نلغي الزمن من السرد."[2]

و يعتبر الزمن "المحور الأساسي المميِّز للنصوص الحكائية بشكل عام، لا باعتبارها الشكل التعبيري القائم على سرد أحداث تقع في الزمن فقط و لا لأنها كذلك فعل تلفظي يخضع الأحداث و الوقائع المروية لتوال زمني و إنما لكونها بالإضافة لهذا و ذاك تداخلا و تفاعلا بين مستويات زمنية متعددة و مختلفة منها ما هو خارجي و منها ما هو داخلي."[3]

لا يخلو أي نص روائي من زمن سواء كان خارجي طبيعي أو داخلي نفسي.

كما أن الزمن يمثل محور البنية الروائية و يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث "حيث يتداخل في العتمة الباهرة الزمان و المكان و تتقاطع دوائرهما في كل واحد و

---

[1] المرجع نفسه، ص :176.

[2] حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات) .المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ،ط1، 1990،ص:117.

[3] سمية سليمان الشوابكة، الزمن النفسي في رواية السجن السياسي "تلك العتمة الباهرة" ، دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مجلد 42، ع3، 2015، ص :785.

مشخص، الزمان هنا يتكثف فيتراص و يصبح شيئا فنيا مرئيا و المكان أيضا يتكثف فيندمج في حركة الزمان و الموضوع بوصفه حدثا أو جملةأحداث التاريخ."[1]

و قد احتل المكان في الرواية الصدارة إذأعتبر الركيزة الأساسية التي أسس عليها الروائي بوصف لأحداثه كما اعتمد على الزمن بحركته و جريانه. إذ تدور الرواية بين زمنيين زمن ماض و الذي كانت قوامه الذكريات حيث يحاول الراوي سليم تصوير أحداث جرت في الماضي و ذلك عن طريق استخدام الذاكرة و محاكاة المشاعر الداخلية ،وزمن حاضر يمثل الفترة التي عاشها في السجن.

-الزمن النفسي:

يرتبط الزمن النفسي بذاتية الفرد و مشاعره إذ "يمتلك الإنسان زمنه النفسي الخاص المتصل بوعيه و وجدانه و خبرته الذاتية، فهو نتاج حركات أو تجارب الأفراد و هم فيه يختلفون، حتى أننا يمكن أن نقول إن لكل منا زمانا خاصا يتوقف على حركته وخبرته الذاتية."[2]يتعلق الزمن النفسي بمشاعر الفرد أي بالأمور الداخلية النفسية حيث لا تحكمه معايير بل يقاس باللحظة النفسية .

يمكن القول أن الزمن الموضوعي يمكن تحديده بالساعة أو اليوم أو الشهر ، لكن الزمن النفسي متعلق بأمور داخلية باطنية نفسية تدركها الذات الفردية دون غيرها فالعنصر الذاتي للزمن أساسي في تصوره.

فالزمن النفسي "زمن نسبي داخلي يقدر بقيم متغيرة باستمرار بعكس الزمن الخارجي الذي يقاس بمعايير ثابتة."[3]

[1] المرجع نفسه، ص :785.

[2] مها يوسف عوض الله، الزمن في الرواية العربية (1960–2000)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، الجامعة الأردنية، 2002، ص :17، 18.

[3] سمية سليمان الشوابكة، الزمن النفسي في رواية السجن السياسي "تلك العتمة الباهرة" ، ص :785.

و هذا ما تجلى في الرواية حيث نجد أن الزمن الماضي و الذي يسترجعه الراوي سليم عن طريق الذاكرة يغلب على النص الروائي "إذ يتوسل به في تقديم الحدث و الشخصية و المكان و التعبير عن الزمن النفسي و تمظهراته بوصفه أكثر تقنيات السرد الزمنية قدرة على الكشف و الاستبطان."[1]

مثّل تازمامارت بالنسبة للسجناء فضاء يشعر فيه السجين بالاختناق و الضيق، كما أنه يحس بثقل الزمن و مروره بطيئا جامدا تحت وطأة التعذيب و القمع اللامتناهي فقد شكلت عتمة السجن الحالكة و فراغه و العزلة و الصمت و الألم عاملا أساسيا للتأثير على نفسية السجين "كان ينبغي ألا أشعر، بعد ذلك بأنني معني بحياتي السابقة لذلك اليوم المشؤوم، حتى لو جاءت الصور و العبارات إلى ليلي و راحت تحوم من حولي، فالمفترض بي أن أطردها، أن أزجرها ."[2]فقد غاب الإحساس بالحياة و الشعور بالزمن داخل سجن "تازمامارت" و زنزاناته القاتلة، فلم يعد لهم زمان داخل تلك الحفرة المظلمة " وقفت ناحية العدم، هناك حيث لا وجود للزمن"[3]فتازمامارت يلغي الزمن و الوقت بالنسبة للسجناء فلم يعد لهم ماض .ينعدم الزمن داخل تللك أقبية التي يطغى عليها الصمت و الخوف و اليأس و يتلاشى الشعور بالزمن في تلك الزنزانات "لبثت صامتا . لم أكن أفكر في شيء كنت أحاول أن أتلاشى في العدم فلا أسمع شيئاو لا أحس بشيء"[4].

فالصمت و العتمة و العزلة و القهر تشكل مفردات نفسية سيطرت على شعور الشخصية الروائية، فقد تجرد السجناء من الزمن و لم يكن لهم أي علم باليوم و الساعة و الشهر و السنة فقد وضعوا في زنزانات مظلمة يسامون فيها أبشع ضروب القمع و التعذيب، لذا فقد حاول "سليم" أن يتخلص من الزمن الماضي، أي ما قبل 10 من تموز 1971.

[1] المرجع نفسه، ص: 786.

[2] الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة. ص :26.

[3] المصدر نفسه، ص :12.

[4] المصدر نفسه،ص:14.

فقد تحول من إنسان إلى أخر و هو في كنف العتمة لا يكاد يتعرف على نفسه. "الحفرة مجددا –العتمة حالكة– حتى فتحة السقف جعلت بحيث يدخل منها الهواء من دون أن يبصر الضوء."[1]

كما كان حلول الليل يرسم صورة الموت للسجناء إذ يحس كل واحد منهم بالغربة و العزلة داخل مكان يخلو من الإنسانية " لم نكن نقيم في كنف أيما ليل، فليلنا كان رطبا، شديد الرطوبة لزجا، قذرا، دبقا تفوح منه رائحة بول الرجال و الجرذان."[2]فضاعةووحشية "تازمامارت" و زنزاناته تزرع في نفسية السجين الخوف و الكآبة و الكبت و اليأس و عتمته تحيل على الموت و انتهاء الحياة.

"و يترك إيقاع الزمن الصامت الرتيب، أثره في الشخصيات المقاومة التي تحاول جبهه و صده و التحايل عليه كي لا تقع فريسة له من جهة و تأثيره في الشخصيات المأزومة التي لا تقوى على مواجهته، فتستسلم من جهة أخرى، لذا فقد تباينت مواقف الشخصيات منه و طرائق التعامل معه."[3]

و هذا ما نجده مجسدا في الرواية إذ نجد الشخصيات مثل: "الراوي سليم" و الأستاذ غربي – واكرين قد تعودوا على الحياة داخل السجن و ظلمته و أيضا عدم معرفتهم للوقت و اليوم و السنة إذ استعانوا في ذلك "بكريم" الذي يمثل بندولهمالناطق فقد كان يوهمهم بمعرفته للوقت و اليوم وغيره، فكان بين الفينة و الأخرى يجيب على تساؤلات السجناء عن الوقت فأصبح رزنامتهم "لقد استطاع كريم أن يجد في ذلك شغلا يستغرق مجمل وقته و كان بالنسبة إلينا نحن، هو الزمن مجردا من القلق الذي يولده التعقب الأعمى لشبح مجزأ إلى دقائق ثم إلى ساعات."[4]

[1] المصدر نفسه، ص :38.

[2] المصدر السابق ، ص:09.

[3] سمية سليمان الشوابكة، الزمن النفسي في رواية السجن السياسي "تلك العتمة الباهرة" ، ص :787.

[4] الطاهر بن جلون .تلك العتمة الباهرة.ص:39.

يمثل الزمن للسجناء عامل مهم لمعرفة الأيام و الأشهر و الأعوام لكن عتمة الزنزانة كانت تجبرهم على العيش وفقا لقانون استبدادي قمعي لا وجود فيه للزمن و انعدام النور داخل تلك الحفرة يفرض عليهم الانشغال بأمور أخرى تمكنهم من التغلب على تلك الكآبة و الصمت المطبق عليهم .

لقد أثّر سجن "تازمامارت" على السجناء فمنهم من انتحر و منهم من أضرب عن الأكل و منهم من استسلم للذكريات. فتعرض للموت من القهر و اليأس و الكآبة.

منهم عبد القادر و العربي و غيرهم غير أن "سليم" قد تخلص من الذكريات و الماضي و أجبر نفسه على العيش في حاضر يؤطره السجن و الغربة غير مهتم، بعذاب السجن و وطأة السلطة و هيمنتها و كذلك قهر الظلمة و سيطرتها "هنا لا أعداء لي يجب أن أقتنع بذلك: لا مشاعر، لا أحقاد، لا خصوم إني وحيد، و أنا وحدي قد أكون عدو ذاتي."[1]

يمكن أن نقول أن الروائي يصور لنا أشكال اغتراب الشخصية و انفصالها عن ذاتها و ذلك بعد التجرد من الذاكرة و الماضي و إقصاء أحداث الصخيرات الفجائعيةفارتبط أكثر بالصلاة و الدعاء محاولا الهروب من ذاكرته إلى عوالم خالية من وحشية الذكريات و غربة السجن محاولا في ذلك خلق عالم جديد يتجنب فيه هوس الماضي و تلاعب الذاكرة "لقد أفرغت ذاكرتي، عزلت منها الذكريات المؤلمة و أحرقت عددا منها."[2]

أثّرت زنزانات "تازمامارت" بعزلتها على نفسية المساجين عامة حيث صورت الرواية غربتهم و إحساسهم بالاختناق و الضيق لدرجة أن بعض المساجين قد استسلم للموت داخل تلك الأقبية المظلمة، فالمكان (تازمامارت) بكل ما يحمله من ظلم و تعذيب و قهر و أسى و ألم قد كان حافزا مهما للتأثير على نفسية الأسرى سلبيا و مميتا.

[1] المصدر السابق، ص :24.

[2] المصدر نفسه، ص :131.

و رغم استبداد السلطة و قمع السجان إلا أننا نرى الراوي سليم ينجح في مقاومته و مكابدته و تحمله لتلك الظلمة القاتلة محاولا التخلص من الذكريات التي تبعث به إلى صحراء الموت و الفناء فكلما تخلص من الماضي كلما تيسرت الحياة داخل الزنزانة.

كما يظهر ارتباط "سليم" أكثر من الشخصيات الأخرى بفكرة التأمل الروحاني و الصلاة و الدعاء و الذي وجد فيه السبيل للتخفيف من أوجاع السجن "عاودت انصرافي إلى الصلاة و التأمل في سكون الليل كنت أردد ذكر الله بأسمائه الكثيرة."[1]

فكلما أقبل على الصلاة و تخلص من مشاعر الحقد كلما خفت عتمة السجن و صارت أقل إعتاما "تأملت و أدركت أن حجبا متتالية تتساقط إلى أن تصير العتمات أقل إعتاما إلى أن أبصر قبسا من نور."[2]

فقد هيمنت تقنية استرجاع أحداث جرت في زمن مضى على الرواية و هذا ما جسده بن جلون في روايته "**تلك العتمة الباهرة**" و ذلك على لسان الراوي و البطل "سليم" حيث يتكبد مشقة رواية أحداث جرت مع أسرى داخل سجون قمعية سلطوية و تحت تعذيب و قمع السجان.

صورت لنا الرواية مأساة السجين داخل زنزانات "تازمامارت" و ظلمتها التي لا تكاد تزول وأيضا مرارة التعذيب.

حاول بن جلون من خلال عمله الروائي طرح فكرة الحرية التي يفتقدها شعب داخل وطنه فلا بد من تحدي القمع و التسلط بكل أصنافه و آلياته فقد جعل من الموت تيمة رئيسية و هذا ما تجلى في الرواية لبلوغ هذه الحرية. لذا فقد نزع الروائي إلى الحرية و جعلها موضوعا أساسيا لا بد من مناقشته و أيضا لا بد من إيقاف فكرة قمع الشعوب و خاصة المساجين و هذا ما نجده بارزا في رواية "تلك العتمة الباهرة" ،فغربة المكان و انعزاله على المجتمع و أيضا حرمان المساجين من النور يعد سببا كافيا للتأثير على نفسية الأسرى داخل

[1] المصدر السابق، ص:79.

[2] المصدر نفسه ، ص:80.

زنزانات "تازمامارت" . فالسجن مكان قاتم تلفه كوابيس الموت و القسوة و الأسى و الغربة و التيه و النفي و الضياع و الانفصال عن العالم الخارجي فكل هذه المصوغات تؤثر في نفسيته.

لذا عمد الروائي في روايته إلى تصوير حالة الأسى و الاضطراب التي يعيشها السجين خلف قضبان "تازمامارت" و ذلك بلغة واقعية مباشرة كشفت لنا عن الحالة النفسية و الجسدية للسجين و أيضا عجزه و عدم قدرته على التعايش داخل هذا المكان المعتم ، فوجود الإنسان في هذا المكان وجود عديم الفاعلية و الذات الفردية فيه هامشية و مقصية كما أنها أقرب إلى العدم، إذ أن السجن مكان مغلق معاد لحرية الفرد يعبر تعبيرا واضحا عن تشتت الإنسان و اضطرابه.

خاتمة

خاتمة

وختاما يمكن القول أن أدب السجون قد لقي اهتماما واسعا من طرف الشعراء و الروائيين لما له من قدرة على طرح أزمات الواقع السياسي و مشكلات المجتمع في علاقته مع السلطة .

- تؤكد الرواية تجربة السجن وأشكال التعذيب و القمع و القهر السياسي الذي يحاول أن يقتل في نفس السجين روح الرفض وكبت لصوته و حريته وقد توصلت بعد دراستي لموضوع سرد السجون في رواية "**تلك العتمة الباهرة** " للنتائج الآتية:
- تبرز الرواية مختلف أشكال الاستبداد و التنكيل المطبقة على البطل من طرف السلطة و السجان و محاولتها إلغاء الحرية و العدل والقيم الإنسانية .
- حاولت الرواية فضح الأنظمة الظالمة المستبدة و دفع بعضهم لمواجهتها و التمرد عليها كما استطاع السجين البطل في الرواية نقل الصورة الهمجية لسجن "تازمامارت" ووحشية السجان .
- سرد السجون هوانعكاس فعلي لنفسية الأسرى أو السجناء كونه يعبر عن ذواتهم وآمالهم وطموحاتهم الشخصية و الوطنية و يخرجهم من ضغوط الاعتقال و أجواء القيد والكبت إلى عالم الواقع الأليم و محاولة رفضه.
- حاولت الرواية أن تكشف لنا معانات السجناء داخل عتمة السجون فقد تعرضوا لكافة أساليب القهر والتنكيل وطمس الهوية و الكينونة.
- بروز سيكولوجية القهر و القمع و الاخضاع والاستبداد في رواية " تلك العتمة الباهرة" حيث جسد لنا الروائي من خلال صفحات الرواية أقبية سجن "تازمامارت" المعتمة المنعزلة.
- يعتبر سجن "تازمامارت" أحد أفضع السجون المغربية و التي حاول الروائي تجسيدها للمتلقي.

- غدت الكتابات السجنية شكلا من أشكال المقاومة و الرفض ووجها من وجوه الاحتجاج و التمرد محاولة في ذلك كشف المستور و فضح المسكوت عنه تحرير المقموع و الحد من مصادرة حقوق الأفراد داخل أوطانهم وفي مجتمعهم ،إذ اعتبرت زنزانات "تازمامارت" فضاءً من فضاءات طمس الحريات و كبتها.
- اتّخذ الروائيون من السجن موضوعا نظرا لشيوع الأنظمة المستبدة و الحكم السلطوي الظالم و سيادة سياسة الاستيلاب و التشيؤ و اللاإنسانية، مما جعل الأدباء يحاولون من خلال أعمالهم التأطير لهذا النوع من القضايا و طرح مشكلات و أزمات المجتمع المعرّض للأسر و الاعتقال وعيا و قمعا فنجد :عبد الرحمن منيف . الطاهر بن جلون . صنع الله ابراهيم . وليد الهودلي و غيرهم ممن حاولوا إيجاد حلول لهذا النوع من القضايا .
- يعتبر السجن مضادا أو نقيض لحرية الفرد و بالتالي اعتبرت الحرية تيمة أساسية يبحث عنها الأفراد و الأدباء و غيرهم داخل عالم يمور بالفوضى و يعج بمختلف أصناف القهر و الاستبداد وضرورة التأكيد على مواجهة السلطة المستبدة و عدم كبت أصوات المثقفون .
- أفلح سرد السجون في كشف السياسات القمعية و ظلم السلطة و إعادة تشكيل واقع يعترف بحقوق المجتمعات و رسم سبل الخروج من دهاليز النظام الفاسد و القمع و التخلص من ايديولوجيا الصمت و الخنوع إلى الرفض و المقاومة و التمرد، و اتخاذ الكتابة وسيلة لترجمة ذلك الرفض و تجسيده.
- جسدت الرواية صورة البطل السجين "سليم" و معاناته داخل زنزانات "تازمامارت" المظلمة ،فقد تعرّض لتعذيب السجان و هيمنته.
- مثّل "تازمامارت"المكان المعادي لحرية البطل و السجناء فقد جردوا من حقوقهم و حريتهم و هويتهم .

- تنقل لنا الرواية صورة اغتراب البطل داخل أقبية "تازمامارت" وتحت هيمنة النظام و سوداوية الحكم .
- يعبر الروائي في روايته عن المعانات الرهيبة التي يتعرّض لها السجين "سليم" ومن معه داخل ظلمات " تازمامارت" إذ كابدوا مختلف صنوف التعذيب و القمع و الألم من قبل السجان و السلطات الحاكمة.
- تلاشي الشعور بالزمن في زنزانات "تازمامارت" المليئة بكل وسائل التعذيب و التسلط ،فعتمة السجن ووحشيته أثرت سلبا على نفسية السجناء عامة و السجين "سليم" خاصة فقد تجرد من ذاكرته و ماضيه و أحلامه و هواجسه و تطلعاته .
- يشكل الليل و اليأس و الصمت و العذاب و العتمة مفردات نفسية تزرع في نفسية الأسرى الشعور بالخوف و الكآبة و الاضطراب.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا:المصادر

1الطاهر بن جلون.تلك العتمة الباهرة.تر.بسام حجار.دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

ثانيا:المراجع

أ . المراجع العربية

1 . ابراهيم رماني. أوراق في النقد الأدبي. دار الشهاب، الجزائر، ط1،1985.

2 . أحمد مختار البزرة. الأسرى و السجن في شعر العرب (تاريخ و دراسة).مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، دط، 1405. 1985.

3 . أحمد الصافي النجفي. بقلم رئيف خوري. مقدمة ديوان حصاد السجن.مكتبة المعارف، بيروت، دط، دت.

4 . اعتدال عثمان. إضاءة النص (قراءة في شعر أدونيس، محمود درويش، سعدي يوسف، عبد الوهاب البياتي، أمل دنقل وآخرون). دار الحداثة، بيروت، ط1،1988 .

5 . أوريدة عبود. المكان في القصة القصيرة الثورية " دراسة بنيوية لنفوس ثائرة ".دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،دط،2009.

6 . جميل السلحوت.أدبالسجون.دار الجندي للنشرو التوزيع،القدس،ط1،2012.

7. حسن نعيسة.شعراء وراء القضبان.دارالحقائق،بيروت،دمشق،دط،1986.

8. حسين محمد علي.البطل في المسرح الشعري المعاصر.مطابعالأهرام،القاهرة،دط، 1991 .

9. حسن بحراوي.بنية الشكل الروائي (الفضاء،الزمن،الشخصيات).المركزالثقافي العربي،بيروت،لبنان،ط1،1990 .

10. سالم المعوش.شعر السجون في الأدب العربي الحديث و المعاصر.دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،دط،1424.2003 .

11. سمر روحي الفيصل.السجن السياسي في الرواية العربية.منشورات اتحاد الكتاب العربي،دمشق،ط1،1983 .

12. سليمان بن صالح الخراشي.المشاهيروالسجون"مجموعة مقالات قديمة نشرت في مجلة الهلال قبل ثمانين عاما تقريبا".دار ابن الأثير، المملكة العربية السعودية، ط1،1424. 2003 .

13. شريبط أحمد شريبط.تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة.دار القصبة للنشر،الجزائر،دط،2009 .

14. شعبانيوسف.أدبالسجون.الهيئة المصرية العامة للكتاب،دط،2014 .

15. صالح ابراهيم،الفضاءو لغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف.المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1،2003 .

16. صبحية عودة زعرب.غسانكنفاني.جماليات السرد في الخطاب الروائي.دارمجدلاوي،عمان ،الأردن ،ط1،1426 . 2006.

17 . عباس محمود العقاد.عالم السدود و القيود.منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،دط،دت.

18 . عبد الرحمن منيف.الكاتب و المنفى.المؤسسة العربية للدراسات و النشر، عمان ،الدار البيضاء، ط3،2001 .

19. عبد الرحمن منيف.الآن هنا... أو شرق المتوسط مرة أخرى.مؤسسة عيبال للدراسات و النشر،نيقوسيا،ط1،1990.

20 . عبد الفتاح خضر. السجون مزاياها و عيوبها من وجهة النظر الإصلاحية. المركز العربي للدراسات الأمنية و التدريب، الرياض، السعودية ، دط، دت.

21 . فيصل عباس.الاغتراب " الإنسان المعاصر وشقاء الوعي ".دار المنهل، بيروت، لبنان، ط1،2008.

22 . مجموعة من الباحثين. جماليات المكان. مطبعة دار قرطبة، الدار البيضاء،ط2، 1988.

23. محمد عوض.نسمات من خلف القضبان.الكلمةللنشر والتوزيع،غزة وفلسطين،دط،2005 .

24 . محسن جاسم الموسوي. الرواية العربية "النشأة والتحول". دار الآداب، بيروت، ط2، 1988.

25 . محمد برادة و آخرون.الرواية العربية واقع و آفاق. دار ابن رشد،بيروت،دط،1981 .

26 . محمدأيوب.الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة(في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967 . 1993). اتحاد كتاب العرب، سوريا،دمشق،دط،1996 .

27 . مصطفىخليفة.القوقعة(يوميات متلصص). دار الآداب و النشروالتوزيع،بيروت، ط4،2014 .

28 . مصطفى حجازي. الإنسان المهدور. المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر،المغرب،ط1، 2005 .

29 . منصورنعمان.نجمالديلمي. المكان في النص المسرحي. دار الكندي للنشر و التوزيع،الأردن، ط1، 1999 .

30. نجيب الكيلاني.رحلة إلى الله. كتاب المختار،القاهرة، ط20، 1979 .

31 . واضحالصمد.السجون و أثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي. المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،ط1، 1995/14/15.

32 . يوسفالصائغ.السرداب(02).سلسلة آفاق الكتابة،القاهرة،ط1، 1997 .

33 . يحي العبد لله.الاغتراب.دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلونالروائية.المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت،لبنان،ط1،2005.

ب . المراجع المترجمة.

1. حنة أرندت. في العنف.تر.ابراهيمالعريس.دار الساقي،بيروت،لبنان،دط،2015.

2 . عبد المنعم زكريا القاضي.البنية السردية في الرواية (دراسة ثلاثية : خيري شلبي.الأمالي لأبي علي حسن.ولد خالتي).تر.أحمد ابراهيم الهواري.عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية،ط1،2009.

3 . غاستون باشلار.جماليات المكان.تر. غالب هلسا.المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع،ط6،2006.

4 . غاستون باشلار.جماليات المكان.تر.غالب هلسا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

5 . فان ليفيان. الحرية و اللاحرية. تر. سمير الشيخ. مطبعة الشرق الجديد، بيروت، دط، 2005.

6 . فرونز روزنتال. مفهوم الحرية في الاسلام. تر. تح. معن زيادة. رضوان السيد. معهد الإنماء العربي، بيروت، دط، 1978.

7 . ميشال فوكو. المراقبة و المعاقبة ولادة السجن. تر. علي مقلد. مركز الإنماء القومي، لبنان، ط1، 1990.

ثالثا: المعاجم

1 . أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور. لسان العرب. دار صادر، بيروت، مجلد7، ط4، 2005.

2 . الخليل بن أحمد الفراهيدي. عبد الرحمن هنداوي. كتاب العين. دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007.

رابعا: المجلات

1-أحمد ميشاوي العدواني، الاغتراب، مجلة عالم الفكر، وزارة الاعلام بالكويت، م10، ع1، (أفريل، ماي، جوان).

2 . سمية سليمان الشوابكة، الزمن النفسي في رواية السجن السياسي (تلك العتمة الباهرة) أنموذجا، مجلة دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مج42،ع3، 2015.

3 . عبد الله حسيني، روح الله صفري، صورة البطل في أعمال غسان كنفاني الروائية، قراءة في (رجال في الشمس، وما تبقى لكم) أنموذجا، مجلة مركز دراسات الكوفة، ع42، 2016.

4 . فاطمة الطيب قزيمة، الاغتراب في شعر محمد الشلطامي، المجلة الجامعة، م2، ع17، أغسطس.

5 . فريال جبور غزول، قصيدة السجن من البيان إلى البلاغ، مجلة الفصول، م11، ع3، 1993.

6 . محمد كشيك، ملامح البطل المغترب، مجلة الفصول، مج11، م3، 1992.

7 . كاظم الحطيط، أثر العلوم الاجتماعية و الإنسانية في تطوير القانون الجنائي" علم العقاب" ،مجلة العرفان، بيروت، م78، ع1 و2، آذار، نيسان،1994.

خامسا: المؤتمرات

1 . أحمد الريماوي، الأسرى الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين، 2013 .

2 . مفيد عرقوب، حسين الدراويش، صورة السجين و السجن و السجان في الشعر الوطني الفلسطيني الأسير، مؤتمرالأسرى، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين، 2013.

3 . نائل اسماعيل ، الأساليب الانشائية في شعر الأسرى الفلسطينيين، مؤتمر الأسرى، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين،2013.

سادسا: المذكرات

1 . رائد حميد مجيد البطاط، جدلية الذات و الآخر في شعر السجون العصرين الأموي و العباسي (دراسة نفسية)، أطروحة تقدم لنيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية، جامعة البصرة، 1432 .2011.

2 . رأفت خليل حمدونة، الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة مابين (1985.2015)، رسالة دكتوراه في الدراسات السياسية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 2016.

3 . سلمان أبو سليم جاد الله، أدب المواجهة منابع أدب الحركة الأسيرة الوطنية، إصدار جمعية الأسرى و المحررين، مخطوطة / نفحة1991، حسام غزة، فلسطين، 2000/04/17.

4 . علي منصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه في الأدب العربي الحديث،جامعة الحاج لخضر، باتنة،2007،2008.

5 . مها يوسف عوض الله، الزمن في الرواية العربية (1960 .2000)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، الجامعة الأردنية، 2002.

6 . يوسف العايب، المتعاليات النصية في أدب السجون و المعتقلات في الجزائر(1954. 1962)، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011، 2012.

الملاحق

التعريف بالكاتب

الطاهر بن جلون روائي مغربي فرانكفوني ولد في فاس سنة 1944،و انتقل إلى طنجة مع أسرته عام 1955 حيث التحق بمدرسة فرنسية ،ثم درس الفلسفة في الرباط و اشتغل سنة 1968بالتدريس في تطوان ثم في الدار البيضاء و غادر بعدها المغرب صوب فرنسا حيث حصل على دكتوراه في علم النفس ،بدأت مسيرته في الكتابة بعد فترة وجيزة من وصوله إلى باريس حيث عمل محررا ثقافيا في جريدة لوموند و توزع إنتاجه الإبداعي بين الرواية و المسرحية و الشعر و الترجمة .

من أشهر أعماله :

1. حرودة 1982
2. محا المعتوه ،محا الحكيم 1982 .
3. ليلة القدر 1987 .
4. طفل الرمال 1992 .
5. يوم صامت في طنجة 1993 .
6. صلاة الغائب 1997 .
7. الكاتب العمومي 1998 .
8. الرجل المحطم 1998 .
9. ليلة الغلطة 1998 .
10. أعناب مركز العذاب 2000 .
11. نزل المساكين 2000 .
12. تللك العتمة الباهرة 2002.

كتب روايات باللغة الفرنسية ثم ترجمت إلى معظم اللغات الحية حصل على جائزة غونكور الفرنسية الأدبية عن رواية (ليلة القدر) و فازت النسخة الانجليزية من رواية " تلك العتمة الباهرة " بجائزة دبلن للأدب " إمباك " 2004.[1]

[1] سمية سليمان الشوابكة، الزمن النفسي في رواية السجن السياسي "تلك العتمة الباهرة"، ص:789.

ملخص الرواية

تدور أحداث رواية" **تلك العتمة الباهرة للروائي الطاهر بن جلون**" و التي صدرت عام **2002** حول تجربة الاعتقال و الأسر في أحد سجون المغرب ألا وهو سجن"تازمامارت" ، حيث تستلهم الرواية شهادة أحد المعتقلين وهو **عزيز بنبين** ، كما تحكي الرواية رحلة ألم و معاناة عاشها عزيز و رفاقه في ظلمات السجن حيث تساوى فها نور الصباح مع عتمة الليل و سكونه فرحلتهم تميزت باللإنسانية، إذ فقد فيها السجناء أبسط متطلبات الحياة و أصبح الموت حلما و غاية داخل أقبية السجن ، إذ يتعرض السجناء لسوء معاملة السجان أو حراس السجن و كذلك ضربهم و شتمهم مما أدى ببعضهم للانتحار و التخلي عن الأمل و الحياة .

فقد عاش السجناء داخل هذه الحفرة أو القبر سنوات ظلمة ووجع و قهر و انسحاق تحت وطأة و هيمنة السلطة التي تهدد الإنسان حدّ الذوبان، تروي لنا الرواية على لسان البطل **سليم** مأساة و معاناة تلامذة أهرمومو العسكرية و الذين قاموا بالتخطيط للانقلاب العسكري و ذلك على" **قصر الصخيرات الملكي**" سنة 1971 فسجنوا بتهمة محاولة اغتيال الملك، ومحاولة الانقلاب تزعمها جنرالات و كبار القادة العسكريين، فنجد بن جلون من خلال روايته قد أبدع في وصف سجن" **تازمامارت**" و زنزاناته المظلمة المعتمة ، حيث لا يكاد السجناء يرون بعضهم البعض من شدة الظلمة التي لا تزول داخل ذلك القبر أو الحفرة كما سماها بن جلون ، فالبطل سليم كان يحمل الرقم 07وغيره من السجناء الذين جردوا من أسماءهم ،منهم حميد رقم 12 . إدريس رقم 09 . و العربي رقم 04 . رشدي رقم 23 وغيرهم فكل واحد من هؤلاء المساجين عاش تلك الفترة المؤلمة ، فهناك من انتحر و استسلم للموت و لعذاب السجان ، لكننا نجد البطل سليم كان متصالحا مع نفسه إذ تخلص من ذكرياته و ماضيه محاولا بذلك التعايش مع هذا الواقع.

كما تقص الرواية أحداث تؤطرها غايات لا متناهية و ذلك بعد زج المساجين أحياء في قبور" **تازمامارت**" التي تحمل عنوان اللاطمأنينةو الكآبة و اليأس و الموت و الفناء فقد كان سليم راوي السجن و حكيمهم حيث كان يقص على مسامعهم قصص و حكايات و أشعار كان يحفظها كما يقص عليهم أفلاما شاهدها ، فحكاياته كانت تزرع بعض الأمل في نفوس المعتقلين.

تعج الرواية بمأساة السجناء وما يمرون به من قهر و حرمان من أبسط المتطلبات إذ أن بن جلون قد أبدع في وصف المكان" تازمامارت" الذي حمل سمة الإقصاء و النفي كما حمّل الروائي البطل سليم مهمة رواية عذاب السجناء ، إذ أن المسجونين قد اعتقلوا أول مرة في سجن "**قنيطرة** "السياسي و هو أقل قساوة من سجن " تازمامارت" الذي تمارس فيه السلطة أبشع العقوبات و تطبق فيه أشد القوانين الصارمة في حق المساجين.

كما حاول بن جلون نقل صورة حيّة للمتلقي عن سجن" **تازمامارت**" و ظلم السلطات الحاكمة و سوداوية النظام السائد، فلا تكاد تخلو الرواية من أصناف التعذيب و ضروب الألم و الوجع الذي خلّف بالضرورة أمراض نفسية للسجناء، أما في نهاية الرواية نجد أن الممارسات اللاإنسانيةداخل سجن "**تازمامارت** " قد تسربت إلى منظمة حقوق الإنسان في فرنسا و باقي البلدان الأخرى مما أدى بالسلطات المغربية أن تطلق صراح بقية المساجين و نفي تواجد هذا النوع من السجون فوق أراضيها.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات.

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان.	
مقدمة.	أ– د
الفصلالأول:دلالة السجن و حضوره في السردالعربي.	
1. مفهوم السجن.	03
أ. المفهوم اللغوي.	03
ب . المفهوم الإصطلاحي.	06
2. أنواع السجون.	11
1.2. السجن المادي.	11
أ. السجن الأجنبي.	11
ب– السجن الوطني.	12
2.2. السجن المعنوي.	12
3. مفهوم أدب السجون.	13
4. موضوعات أدب السجون.	17
أ. الجوانب الذاتية.	18
ب . الجوانب العاطفية.	20
*بين اليأس و الأمل.	20
*الحنين و الأشواق.	21
*المعتقلات و التعذيب.	21
*العلاقة بالسلطة والعلاقة بالأهل	22
5. أدب السجون في السرد العربي.	23
الفصل الثاني:صورة البطل و بنيتي المكان و الزمان في رواية تلك العتمة الباهرة لطاهر بن جلون.	
1– صورة شخصية البطل في رواية "تلك العتمة الباهرة".	45

أ. صورة البطل السجين.	45
ب . صورة البطل الضحية.	50
ج صورة البطل المغترب.	52
د. صورة البطل المتمرد.	56
هـ . صورة البطل المقاوم.	58
و. صورة البطل المجتمع(الشخصية الشعب).	61
2. مستويات المكان في رواية تلك العتمة الباهرة .	62
*المكان كتجربة معيشة.	66
*المكان المعادي (السجن).	73
*غربة السجن و تأثيره على نفسية البطل.	80
3. مستويات الزمان في رواية تلك العتمة الباهرة .	85
*الزمن النفسي.	86
خاتمة.	93
قائمة المصادر و المراجع.	97
ملحق.	105
ملخص.	

ملخص:

جاء هذا البحث تحت عنوان: سرد السجون في رواية (تلك العتمة الباهرة) للمؤلف الطاهر بن جلون.

فرضت تجربة السجن و الأسر و الاعتقال نفسها على الأدب العربي منذ القديم. ذاق من خلالها الشعراء العرب أصناف التعذيب و القمع، و ذلك من خلال أعمالهم الشعرية، حيث أبدعوا في رسم صورة معاناة السجناء و لحظات ضعفهم و صمودهم و هواجسهم و أحلامهم و تطلعاتهم.

كما سلطت الرواية العربية الضوء على الأزمة التي يعاني منها العالم العربي، و هي أزمة (السجن) و غياب الحريات. عالج فيها الأدباء كافة أشكال القهر و الاضطهاد و التعذيب التي مارستها السلطات في حق السجناء. فقد تطرقوا إلى مجمل القضايا التي تمس الإنسان في وجوده و كينونته.

فتحدثت في بحثي عن دلالة السجن و حضوره في السرد العربي و تحدثت عن صورة البطل و بنيتي المكان و الزمان في رواية (تلك العتمة الباهرة) للمؤلف طاهر بن جلون.

و خلصت لنتائج ترجمت خصوصية سرد السجون، خاصة فيما يخص رسم صورة البطل و تحركه عبر الفضاء المكاني (السجن) و كيفية تأثير هذا الأخير على الوجود النفسي للبطل و تعامله مع الزمن بصورة مغايرة عن غيره من الأبطال. حيث يتوقف الزمن في لحظة الموت و القهر و العنف اللإنساني.

Résumé:

Cette recherche est intervenu sous le titre: La narration d'une prison dans le roman (cette obscurité noire) (Tilka Elatama Elbahira) de l'auteur Tahar ben Djaloun.

L’expérience de l’emprisonnement, de la captivité et de la détention s’impose depuis des temps immémoriaux à la littérature arabe. À travers lesquels les poètes arabes ont goûté à la torture et à la répression, à travers leurs œuvres poétiques, dans lesquelles ils ont excelléà dessiner l’image de la souffrance des prisonniers, de leurs moments de faiblesse, de leur fermeté, de leurs peurs, de leurs rêves et de leurs aspirations.

Le roman arabe a également mis en lumière la crise à laquelle le monde arabe est confronté, à savoir la crise de l’emprisonnement et l’absence de libertés. Dans lequel des auteurs ont abordé toutes les formes d'oppression, de persécution et de torture pratiquées par les autorités contre des prisonniers. Ils ont abordé la totalité des problèmes touchant l'être humain en existence et son être.

Dans mes recherches, j'ai parlé de la signification de la prison et de sa présence dans les récits arabes et de l'image du héros, ainsi que la structure du lieu et du temps dans le roman (cette obscurité noire) de l'auteur Tahar ben Djeloun.

L’étude a conclu à l'intimité de la narration de la prison, en particulier en ce qui concerne le dessin de l'image du héros et son déplacement à travers l'espace (prison) et l'impact de ce dernier sur l'existence psychologique du héros et sa gestion du temps d'une manière différente de celle des autres héros. Où le temps s'arrête au moment de la mort, de l'oppression et de la violence inhumaine.